

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

تابع لسنة ٦٢٦هـ

أحد خدم الخليفة إلى المارستان العضدي ومعهم عبد العزيز ابن القبيطي، واعتبرت الحوائج التي في المخزن فسأل صاحب المخزن خازن المارستان والطبيب والقوام كم تكفي هذه الحوائج مرضى المارستان، فاتفقوا علي أن تكفيهم سنة، فقال قد أئفى ابن القبيطي أن المارستان خال من الحوائج وأنه يشتري ما يحتاج إليه المرضى ثم أمر به فصنع إلى أن وقع إلى الأرض وتقدم بحمله إلى حجرة الخانين فحبس بها مسلسلًا وأفرج عنه بعد شهر.

وفي غرة رجب المبارك فرقت الرسوم بالبدرية وفتح الرباط المستجد بدار الروم الذي أنشأه الخليفة المستنصر بالله مجاور المسجد ذي المنارة الذي أمر بعمارته وأسكنه جماعة من الصوفية وجعل شيخهم الشيخ أبا نصر بن عبد الرزاق بن عبد القادر وخلع عليه وعلى الجماعة وعملت به الدعوة.

وفيه استدعي شهاب الدين محمود بن أحمد الزنجاني مدرس النظامية إلى دار الوزارة فأخذ وهو على السدة يذكر الدروس وعزل وتوجه إلى داره بغير طرحه، ورتب عوضه عماد الدين أبو بكر محمد بن يحيى السلامي المعروف بابن الحبير وخلع عليه وأقره على تدريسه بمدرسة فخر الدولة ابن المطلب يعقد المصنوع وعلى المدرسة الاسبهذية بين الدريين.

وفيه أحضر أبو القاسم علي ابن البوري إلى باب النوبي وضرب مائة عصا وقطع لسانه وحمل إلى حبس المدائن وكان شابا حسن الصورة تام الحلقة جميلاً نقل عنه ما اقتضت السياسة أن يعمل به ذلك، نعوذ بالله من طوارق الليل والنهار.

وفي شعبان تكامل بناء المسجد المستجد المعروف بقمرية بالجانب الغربي على شاطئ دجلة المقابل للرباط البسطامي ونقل إليه الفرش والآلات وقناديل الذهب والفضة والشموع وغير ذلك، وفتح في شهر رمضان ورتب فيه مصليا الشيخ عبد الصمد ابن أحمد بن أبي الجيش وأثبت فيه ثلاثون صبياً يتلقنون القرآن عليه. ورتب فيه معيد يحفظهم التلاقين ورتب أيضا فيه الشيخ حسن بن الزبيدي محدثاً يقرأ عليه الحديث النبوي في كل يوم اثنين وخميس. ورتب أيضا قارئ للحديث وجعل في المسجد خزانة للكتب وحمل إليها كتب كثيرة، وفيها نفذ فخر الدين أبو طالب أحمد بن الدامغائي والشيخ أبو البركات عبد الرحمن بن شيخ الشيوخ والأمير فلك الدين محمد بن سنقر الطويل إلى جلال الدين منكوبري بن خوارز مشاه محمد بن تكش مع رسول كان وصل منه وهو يومئذ على خلاط محاصراً لها ونفذ له معهم تشريفات وكراع ولباس الفتوة. ووكل فخر الدين بن الدامغار في فتوته من الخليفة المستنصر بالله والشيخ أبو البركات نقيب الفتوة وكان ذلك بموجب سؤاله.

وفي غرة ذي القعدة خلع على الأمير شمس الدين أصلاتنكين وأخرج نائباً عن أمير الحاج فورد الخبر إلى بغداد أن قوماً من عرب البطين خرجوا على الحاج وعدلوا بهم عن الطريق المسلوكة في كل سنة وطلبوا منهم خفارة

واختطفوا من أطرافهم وأسفرت الحال الى تقرير اثني عشر ألف دينار تسلم إليهم وينصرفون عنهم فصححت لهم نفقات السبل ومال المخزن المعد للصدقة من غير الزام أحد من الحاج بشيء وانفصلوا عنهم فتقدم الخليفة بالنعين على الأمير جمال الدين قشتمر وأن يخرج معه خمسة آلاف فارس ويقصد الاعراب المذكورين فتوجه في ثاني عشر ذي الحجة فلما وصل الكوفة عين على جماعة نفذهم طلائع فلما وصل لينة عاد منهم من أخبره أن مددهم من الثعلبة الى زرود وهم يرقبون وصل الحاج فرحل من لينة على غير الطريق المسلك فوصل من الطوالع من أخبره أن بينه وبين العرب نحو مرحلتين وهم نزول بالحضرا والتعلبية فجعل امراء العسكر ومشايخ العرب وعين لهم وقت اللقاء ثم ركب وسار ليلته أجمع حتى وصل إليهم فاقتتلوا أشد قتال فانهزمت العرب وقتل منهم خلق كثير فاحتوى العسكر على أموالهم دون أولادهم ونسائهم وأقاموا بالموضع المذكور إلى أن وصل الحاج التعلبية واجتمعوا بهم واصطحبوا راجعين إلى بغداد.

وفيها عزل محيي الدين يوسف ابن الجوزي عن النظر بخزانة الغلات بباب المراتب ورتب عوضه كمال الدين عبد الرحمن بن ياسين ثم عزل أيضاً عن ديوان الجوالي ورتب عوضه محيي الدين محمد بن فضلان وتقدم إليه باعتماد الشرع المطهر في أخذ الجزية من أهل الذمة فزاد على من عليه دون الدينار لأنه لا يجوز في مذهب الشافعي رضي الله عنه أن يؤخذ من أحد أقل من دينار إذا كان فقيراً وأن كان متوسطاً أخذ منه ديناران وأن كان غنياً أخذ منه أربعة دنانير، لا يجوز أن ينقص أحد من أهل هذه الطبقات الثلاث عن هذه المقادير اقتداءً بعمر بن الخطاب رضي الله عنه فإنه جعل أهل السواد ثلاث طبقات على ما تقدم شرحه اقتداءً برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإنه لما بعث معاذاً الى اليمن قاضياً أمره أن يأخذ من كل حالم ديناراً وفي رواية ومن الغني أربعة دنانير ومن المتوسط دينارين ولا تقديراً لاكثر الجزية فإنه لو طالب الامام أو نائبه أضعاف ذلك جاز حتى لو امتنعوا من اداء الزيادة كانوا ناقضين للعهد، وفيها توفي يعقوب بن صابر الحراني الأصل البغدادي المولد المنجنيقي. كان شيخاً فاضلاً مقدماً على أهل صناعته وعنده أدب ويقول الشعر فمن شعره:

هل لمن يرتجي البقاء خلود ... وسوى الله كل حي يبيد

والذي كان من تراب وأن عا ... ش طويلاً الى التراب يعود

ومصير الانام طرا الى ما ... صار فيه آباؤهم والجدود

منها:

أين حواء أين آدم اذ فاقهما الخلد والثوى والخلود

أين عاد بل أين جنة عاد ... ارم ابن صالح وثمود

وهي طويلة، آخرها:

لا الشقي الغوي من نوب الأ ... يام ينجو ولا السعيد الرشيد

ومتى سلت المنايا سيوفا ... فالموالي حصيدها والعييد

ومن شعره:

كلفت بعلم المنجنيق ورمية ... لهدم الصياصي وافتتاح المرباط

ونظم القوافي والمديح لشقوتي ... فلم أخل في الحالين من قصد حائط

وكان كثير الدخول على الوزير ناصر بن مهدي، ثم صار اذا جاء يجلس ظاهر الستر، فقال:

قولوا مولانا الوزير الذي ... أضاع ودي ونوى هجري

وصوت إن جئت إلى بابه ... أجلسني في ظاهر الستر
ان كان ذنبي إنني شاعر ... فاصفح فقد ثبت من الشعر
ثم انقطع عنه مدة، فلما دخل إليه أنكر عليه انقطاعه، فقال:
وقالوا قد صددت وملت عنا ... فقلت أبيت تكرار الحال
أنفت من الوداد إلى إناس ... رأوا حالي ولم يرثوا حالي
ثم هجاه فقال:

خليلي قولاً للخليفة أحمد ... توق وقيت السوء ما أنت صانع
وزيوك هذا بين أمرين فيهما ... صنيعك ياخير البرية ضائع
لئن كان حقاً من سلالة حيدر ... فهذا وزير في الخلافة طامع
وأن كان فيما يدعي غير صادق ... فاضيع ما كانت لديه الصنائع
وله في غلام ثقبيل الروادف:

يقعده في النهوض ردف ... قيامتي دونه تقوم
أفديه من مقعد مقيم ... عندي به المقعد المقيم
وله في زامر:

وزامر بات نديماً لنا ... ما بين سكران ومحمور
تقتلنا الخمر ونحيا به ... كأنه ينفخ في الصور
وأنشد يوماً قول القاضي القاضل عبد الرحيم اليبساني:
القني في لظى فإن غيرتني ... فتيقن ان لست بالياقوت
شمل النسج كل من حاك لكن ... نسج داود ليس كالعنكبوت
فقال في جوابها:

أيها المدعي الفخار دع الفخر ... لذي الكبرياء والجبروت
نسج داود لم يفد صاحب الغا ... ر و كان الفخار للعنكبوت
وكذلك النعام يتلع الجمر ... وما الجمر للنعام يقوت
وبقاء السمند في لهب النار ... مزيل فضيلة الياقوت
وفيها، توفي أبو الفضل جبريل بن زطينا كاتب الديوان كان أولاً نصرانياً وأسلم في أيام الخلفية الناصر لدين الله
وكان ذا فضل وأدب وله نظم ونثر وأشياء مستحسنة، ومن شعره:
ان سهرت عينك في طاعة ... فذاك خير لك من نوم

أمسك قد فات بعلاته ... فاستدرك الفائت في اليوم
وأن قسا القلب لا كداره ... فصفه بالذكر والصوم
وله:

إذا أعيا عليك الأمر فارجع ... إلى رب عوائده جميلة
فكم من مسلك مع ضيق سلك ... تجلى واستبان بغير حيلة
وله:

اريد من نفسي نشاط الشباب ... ودون ما أبعيه شيب الغراب
فكيف والسبعون جاوزتما ... ومذهب العمر رمى بالذهاب
ومطليبي عز وما دونه ... تأباه نفسي واموري صعب
وقد تحيرت ولا غرو أن ... يحار من يطلب ما لا يصاب
وفيها توفي الاستاذ سعد الدين محمد بن جلدك خازن دار التشريعات، كان شيخاً عقلاً تولى خدمة الخليفة الناصر
لدين الله مدة عمره وصحبه سفراً وحضراً وكان يتولى حمل مطالعاته إلى الوزير وغيره ممن تبرز إليه مطالعته.
وفيها، توفي الملك المسعود أبو الظفر يوسف ابن الكامل الملك محمد ابن الملك العادل أبي بكر محمد بن أيوب بن
شادي، لما ملك أبوه الملك الكامل اليمن، واستولى على مكة، ولاها ابنه الملك المسعود هذا فاستتاب بها أميراً،
وكان هو يتردد إليها ومقامه باليمن ولم تكن سيرته حسنة ولا طريقته محمودة. قيل أنه دخل مكة في هذه السنة
فأساء السيرة في أهلها ثم رمى طيور الحرم الشريف بالبندق فشلت يده وأدركه أجله بها، فمات ودفن بالمعلي،
وكان شاباً.

سنة سبع وعشرين وستمائة

في غرة المحرم، جلس محي الدين أبو عبد الله محمد بن فضلان في ديوان الجوالي واستوفى الجزية من أهل الذمة، فكان
أحدهم يقف بين يديه الى أن توزن جزيته ويكتب به ورق وهو صاغر فللقوا من ذلك شدة وكان أبو علي ابن
المسيحي رئيس الطب. له اختصاص ودخول إلى دار الخليفة فأظهر المرض واعتذر وسأل أن تؤخذ جزيته من يد
ولده، فلم تقبل منه، فحضر، وأداها ومضى ابن الشويح رأس مشيئة اليهود إلى داره ليلاً وسأله أن يأخذ الجزية منه
فلم يلتفت إليه، وقال له لا بد أن تحضر نهاراً إلى الديوان وتؤديها، وشدد في ذلك ولم يسمح أحداً.
وفيه، ولي شمس الدين أبو الازهر أحمد بن الناقد استاذية الدار، وخلع عليه وذلك إضافة إلى وكالة الخلفة
المستتصر بالله.

وفيها، وصل فخر الدين أحمد بن الدامقاني وشمس الدين عبد الرحمن شيخ الشيوخ، والأمير فلك الدين محمد بن
سنقر الطويل، وسعد الدين حسن بن الحاجب علي المقدم ذكر توجههم في السنة الخالية، إلى جلال الدين
منكوبرتي، وكان اجتماعهم به ظاهر خلط وهو نازل عليها ومحاصر لها، فنخلعوا عليه وألبسوه سراويل الفتوة،
ووصل يعلمهم بأيام، رسول منه برسالة، مضمونها شكر الإنعام عليه والأخبار بفتح خلط وملكها. فنخلع عليه
وعلى خواصه، وأنزل دار الأمير محمد بن النباري على دجلة فأقام أيام ثم عاد.

وفيها، نقل عن عبد الله بن اسماعيل صاحب ابن المنى الواعظ ما اقتضى أنه أحضر الى دار الوزرة وضرب مائة عصا
وقطع لسانه وحمل إلى المارستان العضدي، وحبس في حجرة المجانين وأفرج عنه بعد ثلاثة أشهر.

وفي غرة شهر رجب المبارك، فرقت الرسوم من البر على أربابها جاري العادة، وأبرز من دار الخليفة الى استاذ الدار
شمس الدين أحمد بن الناقد ما أمر بتفرقة على الفقراء والمحتاجين ببغداد.

وفيها، قلد قاضي القضاة عبد الرحمن بن مقبل الواسطي أبا عبد الله محمد بن أبي الفضل الحنفي ويعرف بريب
الابري، قضاء واسط وولاية الوقوف بها.

وفيها، تقدم الخليفة المستتصر بالله إلى فخر الدين أحمد بن نائب الوزارة مؤيد الدين القمي، بعمارة مساجد الكرخ
فشرع في ذلك فلما تكاملت عمارتها، رتب بها الائمة والمؤذنون.

وفيها، تكامل بناء قصر مبارك، الذي أمر بعمارته بباب البصرة المشرف على الصراة. وفيها، نقل ظهير الدين الحسن بن عبد الله، من أشرف الديوان إلى صدرية المخزن، ورتب العدل فخر الدين أحمد بن الدماغاني عوضه في اشرف الديوان.

وفيها، وصل رسول من محمد بن يوسف ابن هود، يخبر باستيلائه على معظم بلاد الغرب واستعادتها من أيدي غصابها بني عبد المؤمن، واقامة الدعوة بها للدولة العباسية، فأكرم الرسول ثم كتب على يده شيء إلى مرسله وخلع عليه وأذن له في العود.

وفيها، تكامل بناء سور الرصافة، الذي أمر بعمارته الخليفة المستنصر بالله. وفيها، ولي الأمير شمس الدين أصلان تكين الناصري، إمارة الحاج وحج الناس في هذه السنة. وفيها، توفي عضد الدين أبو نصر المبارك بن الضحاك وكان شيخاً ديناً فاضلاً أديباً، وكان من المعدلين بمدينة السلام، ورتب ناظراً بديوان الجوالي، وكتب ديوان الانشاء، ثم نفذ رسولا إلى صاحب الشام، فلما عاد رتب أستاذ دار الخلافة، فكان على ذلك إلى أن توفي، وكان له شعر حسن، فمما نسب إليه ما رثى به بعض أصحابه وهو:

لئن مضى أحمد حميدا ... ما الموت في أخذه حميد
أو بخلت مقلة بدمع ... فهي على مثله تجود

وفيها، توفي الأمير نور الدين ككسنقر التركي المعروف بالخلقي كان أولا لبعض أمراء العراق، فلما توجه الوزير بن القصاب إلى هناك وأستولى على تلك الأماكن، حضر عنده بعض الأمراء فشاهد معه ككسنقر المذكور فاستحسن صورته وأعجبه فده وهيفه، فأشار إلى بعض المماليك بأن يتحدث إليه ويطمعه في سيده بحيث يطلب منه الانفصال عنه وبعده أن ينفذ به إلى بغداد ويصير بها أميراً أكبر من سيده، فاجتمع به المملوك، وفاوضه في ذلك ورغبه فشافه سيده بذلك، فقلق قلقاً شديداً وتضرع إليه في أن لا يفارقه فلم يرق له فمنعه سيده من الخروج فالتقى نفسه من الدار ومضى هارباً إلى الوزير واستجار ببابه فأدخله إليه وسمع كلامه، وأحضر سيده وتحدث معه في بيعه فلم يجب إلى ذلك، فأمر الوزير بانفاذ ككسنقر إلى بغداد مع ثقة، فلما وصل، وراه الخليفة فأحسن إليه وتلقاه بالقبول، ولم يزل في ارتقاء وعلو منزلة، وقربه حتى ولاه الإمارة وجعله أمير السلاح وأقطعه معاملة الحدادية، من أعمال واسط ثم أقطع قوسان، وأضيف إليه جماعة من الأمراء ولم يزل يداوم على الشراب حت غلب عليه البلغم وسمن سمناً عظيماً، عطله عن الحركة وامتنع من الركوب، فلم يزل على ذلك إلى أن توفي. وأما سيده فإنه لم بعد فراقه مشغولاً به هائماً عليه. مفكراً فيه، حتى أخذه السل فأحرقه ومات.

وفيها، عاد الأمير مجير الدين جعفر بن أبي فراس الحلبي إلى بغداد وكان مقيماً بمصر عند ولده، فلما وصل، وقع الرضا عنه من الخليفة المستنصر بالله، وكان سبب توجهه إلى مصر، أن الخليفة الناصر كان قد أمره، وجعل إليه شحنية واسط البصرة، ثم عزله عن ذلك ولم يوله فأنقطع إلى التجدد وحج في إمارة ولده حسام الدين علي الحاج، فلما فارق ولده الحاج، وتوجه إلى مصر، مضى صحبته وأقام إلى الآن، وعاد إلى بغداد في غرة رجب، وأقام بداره فأدركنه المنية في آخر ذي الحجة، فصلي عليه في جامع القصر وحمل إلى مشهد أمير المؤمنين علي عليه السلام.

وفيها، توفي أحمد بن أبي السعود الرصافي الكاتب، كان يخدم ولي العهد أبا نصر محمد بن الخليفة الناصر لدين الله وكان يكتب له أنساب الطير والحمام، وكان يكتب خطأ مليحاً على طريقة ابن البواب وكان معجباً بخطه. كتب نوح البلاغة بخطه ونادى عيه فدفع فيه خمسة دنانير فلم يبعه، ثم نودي في الحال على قوائم، بخط ابن البواب خمسة عشر ديناراً، فاستشاط وقال يدفع في نوح البلاغة بخطي خمسة دنانير ويدفع في قوائم بخط ابن البواب خمسة عشر

دينارا. وليس بين الخطين كبير فرق ولا سيما هذا التفاوت، ثم ذكر قصة ابن جيوس لما اجيز على قصيدة عملها،
الف دينار وتسامع الشعراء فحضر منهم جماعة وعرض كل منهم قصيدة، فلم يعط أحد منهم شيئاً، فكتب أحدهم
إلى المدوح:

على بابك المعمور منا عصابة ... مفاليس فانظر في امور المفاليس
وقد رضيت هذي العصابة كلها ... بعشر الذي أعطيته لابن حيوس
وما بيننا هذا التفاوت كله ... ولكن سعيد لا يقاس بمنحوس
فعبج الحاضرون منه.

سنة ثمان وعشرين وستمائة

في الحرم، وصل إلى بغداد مظفر الدين أبو سعيد كوكبري بن زين الدين علي كوجك صاحب أربل، ولم يكن قدم
بغداد قبل ذلك، وكان معه محي الدين يوسف بن الجوزي، وسعد الدين حسن ابن الحاجب علي، وكانا قد توجهوا
إليه في السنة الخالية فخرج إلى لقائه فخر الدين أحمد بن مؤيد الدين القمي نائب الوزارة، والأمراء كافة والقضاء
والمدرسون وجميع أرباب المناصب، فلقوه على نحو من فرسخ، وبقية فخر الدين بن القمي بظاهر السور واعتقوا
راكبين ثم نزلوا، فقال له فخر الدين لما انتهى إلى مقار العز والجلال ومعدن الرحمة والكرم والافضال: لا زالت
الأبواب الشريفة ملجأ للقاصدين، والاعتاب المنيفة منهلاً للواردين، ووصولك يامظفر الدين رسم أعلى المراسم
الشريفة وأسماها، وأنفذ أوامرها في مشارق الأرض ومغاربها وأمضاها، فصدك وتلقيك وأحماد مساعيك أكراماً لك
واحتراماً لجانبك، فيقابل ما شملك من الأنعم بتقيل الرفام، والدعاء الصالح الوافر الأقسام المقترض على كافة الأنام
والله ولي أمير المؤمنين. فقبل الأرض حينئذ مراراً، ثم دخلوا جميعاً إلى البلد فلما وصل باب النوي، ساق فخر الدين
ونزل مظفر الدين وقيل الأرض، وعضده الاجل نور الدين أبو الفضل بن الناقد أحد حجاب المناطق بالديوان، ثم
ركب وقصد دار الوزارة فلقى مؤيد الدين القمي وجلس هناك، وركب نائب الوزارة وولده وجميع أرباب الدولة
والأمراء، وتوجهوا نحو دار الخلافة.

فأما مؤيد الدين وولده وخواصه، فدخلوا من الباب القائي بالمشرعة. وأما الولاة والأمراء فدخلوا من باب عليان
وباب الحرم، وانتهى الجميع إلى تحت التاج على شاطئ دجلة، ووقفوا تحت الدار الشاطئية ذات الشبايك، ثم
استدعى مظفر الدين من دار الوزارة بالأمير عز الدين ألب قرأ الظاهري وبأحد خدم الخليفة، فحضر فرفعت
الستارة فقبل الجميع الأرض. وكان قد نصب تحت الشباك الاوسط كرسي ذو درج، فرقي عليه نائب الوزارة
واستاذ الدار ابن الناقد. ومظفر الدين، وسلم مظفر الدين مشيراً برده إلى الشباك تالياً قوله تعالى (اليوم أكملت لكم
دينكم وأتممت عليكم نعمتي) فرد الخليفة عليه السلام. فقبل الأرض مراراً ثم شكر الخليفة سعيه، فاكتر من تقيل
الأرض والدعاء فاسبلت الستارة وعدل بمظفر الدين إلى حجرة، فخلع عليه فيها، وقلد سيفين وقدم له فرس
بموجب ذهباً ومشده ورفع وراءه سنجقان مذهبان وخرج من الباب القائي المعروف بباب التمر المشرعة، وبه كان
قد دخل ومضى والناس في خدمته إلى حيث انزل بدار شمس الدين علي ابن سنقر، بدرج فراشاً وأنزل جماعة من
الأمراء الواصلين معه في دور، في عدة محال، وباقي عسكره في المخيم ظاهر البلد وأقيمت له ولاصحابه الاقامات
الوافرة، ثم سأل زيارة المشاهد والربط ببغداد فعمل له في كل مكان وليمة، وصلى في جامع القصر جمعيتين داخل
الرواق إلى جانب المنبر، ثم حضر في منتصف صفر مؤيد الدين القمي نائب الوزارة وولده والجماعة الذين حضروا

يوم دخوله وجرت الحال على ما تقدم شرحه، وخاطبه الخليفة بما طابت به نفسه، فقبل الأرض وابتهل بالدعاء، وتلا قوله تعالى (يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين) ثم اسبلت الستارة وخلع عليه في تلك الحجرة، وأعطى كوسات وأعلاماً وخمسين ألف دينار، برسم نفقة الطريق، وبرسم حاشيته، وأصحابه عشرة آلاف دينار. وخرج من هناك إلى دار الوزارة وحضر جميع أصحابه فخلع عليهم بحضوره. وأقام بعد ذلك أياماً ثم خرج إلى محيمه بظاهر سور سوق السلطان وتوجه إلى بلده، وكانت مدة مقامه ببغداد عشرين يوماً، ومضى معه محي الدين بن الجوزي، وسعد الدين حسن بن الحاجب علي، وعادا في ربيع الأول وأخبراً أن مظفر الدين حلف أمراءه وأعيان بلده، على طاعة الخليفة وتسليم البلد عند وفاته إليه.

وفيها، عزل قاضي القضاة عبد الرحمن بن مقبل، أبا عبد الله محمد بن أبي الفضل الحنفي عن قضاء واسط، وكان قد قلده القضاء في السنة الخالية فأقام بها شهوراً فلم يحمد مجاورة أهلها، واصعد ليقدر قاعدة تمكنه المقام بها من توفير الجاه، فلم يتهيأ له ذلك.

وفي صفر، دخل بعض الأتراك إلى دار الوزير مؤيد الدين القمي وطلب غفلة الستري وانتهى إلى مجلسه فلم يصادفه جالساً، وكان بيده سيف مشهور وكان آخر النهار، وقد تقوض الجامعة من الديوان فصاح عليه خادم، فتبادر الغلمان وأمسكوه، وانتهى ذلك إلى مؤيد الدين فجلس وأحضر التركي بين يديه وسأله عما حمله على ذلك؟ فلم يقل شيئاً، فضرب ضرباً مبرحاً، فذكر أنه له مدة لم يصله شيء من معيشتته وهو ملازم الخدمة وقد أضر به ذلك، فحمله فقره وحاجته وغيبه على ما فعل فأمر بصلبه فصلب وحط بعد يومين.

وفيها، أنهى إلى الديوان، أن انساناً يهودياً أسلم وتزوج مسلمة ثم ارتد إلى دين اليهود، فأمر بقتله وفاحضر وصلب. وقطع لسان إنسان جيء به من همدان تحت الاستظهار، نقل عنه أنه ادعى هناك اتصالاً بالخليفة المستنصر بالله ثم حمل إلى المارستان فحبس به.

وفيها، اجتاز رجل بباب مسجد وقد نصب عليه خشب ليجعل عليه أضواء لاجل الختمة فوقع عليه جذع قمات وحمل إلى بيته فقال الجيران هذا تخاصم هو وزوجته اليوم فخرج وهو يقول (اشتھيت أن يقع علي شيء حتى أموت وأستريح منكم).

وفي ليلة عيد الفطر، فتح باب في حائط دار الوزارة وجعل عليه شبك حديد وجلس فيه مؤيد الدين القمي نائب الوزارة واستعرض العسكر.

وفي شوال، تكامل بناء المدرسة التي أنشأها شرف الدين أقبال الشراي بسوق العجم بالشارع الأعظم بالقرب من عقد سور سوق السلطان مقابل درب الملاحين، وكان المتولي لبنائها شمس الدين أبو الأزهر أحمد بن الناقد وكيل الخليفة المستنصر بالله وشرط الواقف، له النظر فيها وفي أوقافها، ثم بعده إلى من يلي وكالة الخلافة، وفتحت في آخر شوال ورتب بها الشيخ تاج الدين محمد بن الحسن الأرموي مدرساً، وخلع عليه وعلى الفقهاء والعبيد وجميع الحاشية ومن تولى عمارتها، وحضر جميع المدرسين والفقهاء على اختلاف المذاهب، وقاضي القضاة عبد الرحمن بن مقبل، فجلس في صدر الايوان وجلس في طرفي الايوان محي الدين محمد بن فضلان، وعماد الدين أبو صالح نصر ابن عبد الرزاق بن عبد القادر فكلاهما قد كان قاضي قضاة وعمل من أنواع الاطعمة والحلواء ما تعبى في صحنها قبايا، وحمل من ذلك إلى جميع المدارس والاربطة، وقرئت الختمة وتكلم الشيخ محمد الواعظ ثم جلس المدرس بعده، وذكر دروساً أربعة فأعرب عن غزارة فضله وتوسع علمه، وفيها خلع على الأمير شمس الدين أصلان تكين، خلعة إمارة الحاج، وحج بالناس.

وفيها، توفي بركة بن محمود الساعي المشهور بالسعي والعدو وكان من أهل الحربية سعى من واسط إلى بغداد في يوم وليلة.

ومن تكريت إلى بغداد، في يوم واحد، وحصل له بسبب ذلك مال كثير وجاه عريض، واتصل بخدمة الخليفة الناصر لدين الله وجعله أخيراً مقدماً لرجال باب الغربية، فكان على ذلك إلى أن توفي.

وفيها، توفي الملك الأجد أبو المظفر بهرام شاه بن فروخ شاه ابن شاهنشاه بن أيوب شاه بن شادي صاحب بعلبك، كان قد ملكها بعد أبيه فانزعها الملك الأشرف موسى بن العادل أبي بكر محمد بن أيوب منه قهراً، وأخرجه عنها فرحل إلى دمشق وأقام بها. فاقم بعض مماليكه بسرقة منطقة وحيسه، فوثب عليه ليلاً وقتله فأخذ المملوك وقتل، وكان الملك الأجد أديباً فاضلاً شاعراً، فمن شعره يقول:

يؤرقني حنين وأذكار... وقد خلت المعاهد والديار

تنأى الطاعنون فلي فؤاد... تسير مع الهوادج حيث ساروا

وليلي بعد بعلمهم طويل... فأين مضت ليالي القصار

فمن ذا يستعير لنا عيوننا... تنام ومن رأى عيناً تعار

سنة تسع وعشرون وستمائة

وفي هذه السنة، وردت الأخبار بانتشار عساكر الغول في بلاد أذربيجان وتطرقهم إلى ما يقاربها من التواحي والأعمال إلى نحو شهر زور، فأخرج الخليفة المستنصر بالله الأموال وجهاز العساكر وأرسل إلى سائر البلاد للجمع والاحتشاد، فورد كتاب مظفر الدين كوكبري صاحب أربل ويسأل انجاده بالعساكر، ليتفق معهم فتقدم الخليفة بخروج العساكر، فبرزوا إلى ظاهر البلد وتجهزوا وساروا ومقدمهم جمال الدين قشتمر الناصري، ومعه من الأمراء، شمس الدين قيران، وعلاء الدين ايلدكن وبهاء الدين ارغش، وفلك الدين زعيم البيات. فساروا قاصدين مظفر الدين كوكبري صاحب أربل فالتقوا به في موضع قريب من الكرخيقي فأقاموا هناك بقية شهر رجب وشعبان، فجرى بين بعض مماليك الخليفة وبيطار من أصحاب مظفر الدين صاحب أربل خصومة، فعاونته جماعة من أصحابه فانتشبت بسبب ذلك بين العسكرين فتنة أدت إلى قتل وجراح، فركب مظفر الدين بسلاحه وكذلك أصحابه، ثم وقف في باطن دهليز سرادقة، وكادت الحرب تنشب بينهم، فركب جمال الدين قشتمر بغير سلاح ولا مداس، ومنع غلمانهم ومماليكهم من متابعتهم، ودخل في غمار الواقعة وقصد خيمة مظفر الدين صاحب أربل، فوجده راكباً بالعدة الكاملة، يجرض أصحابه على القتال فإلطفه وحجله وقبح له ذلك، فعرف وجه الصواب، فرجع عما كان عزم عليه، وسكنت الفتنة، ثم اتفقوا على الرحيل إلى مدينة شهر زور لأنهم بلغهم أن المغول قد وصلوا ساميان وحاصروا حاصبك، فنفذ جمال الدين قشتمر جماعة طلائع، وجعل مقدمهم ارتر العراقي، ثم رحلوا في ثامن شهر رمضان ونزلوا في موضع يعرف بالاكراذ، فورد الخبر إليهم بوصول أمين الدين كافور خادم الخليفة المستنصر بالله فركب جمال الدين قشتمر ومظفر الدين صاحب أربل، وجميع الأمراء للقاءه فاجتمعوا به وعرفهم ما أمر به الخليفة ثم عاد في سحرة تلك الليلة إلى بغداد وأحضر في تاسع رمضان عند جمال الدين قشتمر، ثلاثة نفر وامرأة من المغول فسأهم عن أخبارهم، فذكروا أنهم فارقوهم راجعين من مراغة فأخذ عليهم شروط الاسلام فأسلموا فضمهم إليه ثم رحلوا وساروا حتى عبروا الدريند، فوصل إليهم الدكتور مخبراً أنهم صادفوا يزكا منهم على غرة، وجرت بينهم هوشة وأن المغول استظهروا عليهم لكثرتهم ومعرفتهم بالأرض، وقتلوا مقدم الطلائع وجماعة من العسكر، فعند ذلك

جاءوا في السير فوصلوا شهر زور ونزلوا بقريه يقال لها موغان غربي شهر زور فلم يمكنهم المقام هناك لعدم الماء العذب فيه، ومات في ذلك المنزل خلق كثير بهذا السبب فعند ذلك أظهر مظفر الدين صاحب أربل المرض وشدته، فدخل إليه جمال الدين قشتمر عائداً فوجده ملقى على ظهره، فقال لا غناء لي عن التوجه إلى بلده، وطلب منه ولده شرف الدين علي وقال يكون معي إذا مت يتسلم البلد، وطلب أيضاً الأمير سعد الدين حسن بن الحاجب علي، ليسلم إليهما خفيتان، فأجابه إلى ذلك فتوجه مظفر الدين قاصداً بلده وتوجه قشتمر إلى الكرخيبي. وأما مظفر الدين فإنه وصل إلى أربل وأقام شرف الدين وسعد الدين عنده أياماً ثم سرحهما فعادا إلى الكرخيبي، وأخبراه أنه في أتم عافية وأن ذلك كان حيلة منه، وكان جمال الدين قشتمر قد نفذ الأمير ابن حسام الدين طرغل ونور الدين الدكز إلى الدر بند يزكا، فلها يتصيدان فما أحسا إلا وقد أحاط المغول بخيمتهما فأخذوها وما فيها، فلما بلغ ذلك جمال الدين قشتمر ركب بمن معه وصعد رأس الجبل هناك واعتبر العساكر فلم يجد إلا الأمراء والمماليك و متميزي الأجناد، وترقب وصول المغول فأسفرت الحال عن يرك كان لهم، وأن قطعة منهم بالدر بند فاقضى رأيه الرجوع، والنزول في المنزل تطيباً للناس من النفور والانتزاع، فحضر جميع الأمراء عنده وظهير الدين الحسن بن عبد الله عارض الجيش، ودارت المشورة بينهم في كيفية لقاء عدوهم فكل منهم أشار بشيء، إلا عارض الجيش فإنه قال: الرأي معكم فاتفقوا على الرحيل ليلاً من غير طبل ولا شغل، والسير إلى شهر كرد فهناك وطأة واسعة وأرض فسيحة تصلح للحرب فرحلوا همسة من غير حركة تسمع، فصبحوا شهر كرد: وأما من كان معهم من العساكر الغرباء فأتمهم رحلوا متفرقين كل منهم طلب بلده، وأقام جمال الدين قشتمر ومن معه من العساكر فلم يقدم أحد المغول إلى محاربتة فأتمى ذلك إلى الديوان فتقدم إليه بالعود فرحل قاصداً مدينة السلام فلم يؤذن له في دخول البلد فأقام بظاهره إلى صفر، سنة ثلاثين وستمائة، ثم أذن له الدخول. فأقام بظاهره إلى صفر، سنة ثلاثين وستمائة، ثم أذن له الدخول.

وفي هذه السنة، نقل عبد الله بن ذبابه، ما اقتضى ضربه على باب النوبي، وقطع لسانه واحضاره إلى البصرة، والزاهه المقام بها.

وفيها، جرت فتنة بين أهل باب الأزج وبين أهل المختارة وتراموا بالبندق والمقايح والآجر وتجاللوا بالسيف وقتل من الفريقين، وجرح جماعة فتقدم في عشية اليوم التالي بجروح الجند وكفهم عن ذلك، فخرج نائب باب النوبي ومعه جماعة من الجند وكفهم وقبض على جماعة منهم فضربهم وقطع أعصابهم، فسكنت الفتنة.

وفيها، صعد إنسان إلى الشيخ محمد الواعظ وهو على منبر وعظه بباب بدر ومعه سمان وقال أي رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المنام، وقال لي لا أحمل هذا السمان إلى محمد الواعظ وقل له يعطيه للخليفة، فاستيقظت وهو في يدي، فقال له أمسكه معك إلى حين فراغ المجلس، فأنهيت الحال إلى الخليفة فتقدم بأن يعزر ويوكل به على كذبه على النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وفيها، قلد قاضي القضاة عبد الرحمن بن مقبل الواسطي أحمد ابن عنتر الهمامي، قضاء واسط وخلع عليه فخرج والبسلة بين يديه متوجهاً إلى داره فاجاز على دار الوزارة وكان مؤيد الدين القمي جالساً في الشباك فانكره وسأل عنه فعرف الصورة ولم يكن قاضي القضاة استأذنه في ترتيبه، فانكر الحال على قاضي القضاة، فنفذ في الحال إلى المذكور وكيلاً شافعاً بالعزل، ثم أنه بعد ذلك شفع إلى الوزير في ابن عنتر فتقدم إلى قاضي القضاة باعاده، فأعاده.

وفيها، أذن الخليفة المستنصر بالله لولده الأمير المؤيدي أحمد عبد الله أن يوكل العدل، عبد الوهال بن مظفر وكالة

شرعية فوكله، وأشهد على نفسه بذلك العدلين على بن النيار مؤذبه، ومحمد بن حديد. وفيها، تقدم الخليفة إلى الأمير شمس الدين باتكين زعيم البصرة بعمارة جامعها وتجديده وأحكامه وتشبيده، وإنشاء مارستان هناك وأن يكون الغرامة عليه من خالص مال الخليفة وأن توقف عليه وقوفاً سنوية موفرة الحاصل.

ذكر عزل الوزير مؤيد الدين القمي

وولاية نصير الدين أبي الأزهر أحمد بن الناقد

في يوم السبت سبع عشر شوال، تقدم إلى مؤيد الدين أبي طالب محمد بن أحمد بن العلقمي مشرف دار التشريعات يومئذ أن يحضر عند استاذ الدار شمس الدين أبي الأزهر أحمد بن الناقد ويتفقا على القبض على نائب الوزارة مؤيد الدين القمي فجمع استاذ الدار رجال التوبتين وأمرهم بالمبيت في دار الخلافة ولم يشعر أحداً منهم بشيء فلما أغلق بابا النووي والعامه، عين على جماعة مع ابن شجاع مقدم باب الأتراك، بالقبض على القمي إذا فتح باب النووي، وعين على جماعة مع حسن بن صالح المعمار للقبض على ولده في الساعة المعينة، وعين جماعة للقبض على أخيه وجميع أصحابه وخواصه، فلما فتح باب النووي خرج الجميع بالسيوف وهجموا عليه وعلى ولده وأخيه وجميع أصحابه في ساعة واحدة فلم يفلت منهم صغير ولا كبير. فأما هو وولده فقللا ليلا إلى باطن دار الخلافة فحبسا هناك. وأما بناته ونسلؤه فنقلن إلى دار بالقصر من دار الخلافة. وأما أخوه ومماليكه وأصحابه فحملوا إلى الديوان. وفي يوم السبت المذكور. استدعي استاذ الدار شمس الدين أبو الأزهر أحمد بن الناقد إلى دار الخلافة، وخلع عليه نيابة الوزراء وقلد سيفاً وقدم له مركب بمركب ذهباً وركب من باب البستان المقابل لدار التشريعات وبين يديه جميع الحجاب وقد تقدمه إلى الديوان جميع أرباب الدولة فدخل إليه وجلس في الموضع الذي جرت عادة نواب الوزارة بالجلوس فيه، وكتب والأهماء وبرز الجواب فقرأه قائماً على الحاضرين، وأمر الخليفة بأن يخاطب بخطاب الوزير أبي الحسن ناصر بن المهدي العلوي وهو المولى الوزير الأعظم صاحب الكبير المعظم، العالم العادل، المؤيد المظفر الجاهد نصير الدين صدر الإسلام، غرس الإمام، شرف الأنام، عضد الدولة، جلال الملة، معيث الأمة، عماد الملك، اختيار الخلافة مجتبي الأمانة المكرمة، تاج الملوك، سيد صلور العالمين، ملك وزراء الشرق والمغرب، غياث الوري، أبو الأزهر أحمد بن محمد بن الناقد ظهير أمير المؤمنين، ووليه المخلص في طاعته، الموثوق به في صحة عقيدته.

وفي يوم الاثنين تاسع عشر شوال ولي مؤيد الدين أبو طالب محمد بن العلقمي استاذية الدار، وخنق عليه في دار الوزارة وركب في جمع كثير واسكن في الدار المقابلة لباب الفردوس، ولما قبض على القمي، قال الشعراء في ذلك أشعار كثيرة منها ما قاله الحاجب محمد بن عبد الملك الوطائفي وحرص الخليفة على قتلها بألفاظ رمات البندق. وهو:

لقد انتحى المستنصر المنصور ... يوم المكين كما انتحى المنصور

ملك الخراساني ذاك ببغية ... وكذا خراسانينا المأسور

لا تبقه ياخير من وطىء الحصا ... فالخزم أن لا يهمل الموتور

وأفصم عرى عنق القصير فلونه ... في المكر والكيد الوكيد قصير

مولاي في وجه العداة صرعت ... مصطحباً وطير المخرفيه وكور

أخليت منه الجو في ندب وكم ... حامت عليه ولم تنله نسور
خيشته لكن مفيقا فاتبع ... ما سنه في البندق الجمهور
والرأي تذكية المفيق فإنه ... مازال يملك روعة ويطير
فالكي مخلفه لديه واضح ... في حده عضد له وظهير
لا تأمن عليهما في محبس ... ضنك فعندهما له تدير
كم هارب من قلة في قلعة ... ولكم نجا بقيوده مطمور
فاقتلها بالسيف أحوط حارس ... لهما وهذا أول وأخير
ضل المكين بكل ما صنعت به ... آراؤه في دسته المغرور
وتر الخلافة بالخلاف ولم يكن ... قدر تدبير الملوك وزير
فعرمت فيه عزيمة نبوية ... كادت لسطوتها السماء تمور
حرسث تغور للمسلمين بعزلة ... وتيسمت للعالمين تغور
وفيها، ولي جمال الدين علي ابن البوري حجابة باب النبوي، وفيها، قطع الشيخ محمد المعروف بالواعظ عن الوعظ
ومنع من الجلوس بباب بدر، وكذلك العدل اسماعيل بن النعال الواعظ.
وفي ذي القعدة، استناب نصير الدين أبو الأزهر أحمد بن الناقد نائب الوزارة أخاه جمال الدين عبد الله في الوكالة
ليتوفر هو على أمر الوزارة، وفيه، انعم الخليفة على الأمير علاء الدين الطبرسي المعروف بالدويدار، الكبير بالدار
المقابلة لباب الحرم المجاورة لداره، وانتقل عنها معلى بن الدباهي.
وحج بالناس في هذه السنة الأمير شمس الدين أصلان تكير الناصري.
وفيها، توفي أبو بكر محمد بن عبد الغني المعروف بابن نقطة وكان على طريقة حميدة وقاعدة جميلة، عني بعلم
الحديث وسماعه، وسافر البلاد في طلبه.
وفي خامس شوال، توفي جمال الدين محمد بن علي بن خالد الكاتب شيخ فاضل عالم بالسير والأخبار، كتب بخطه
كثيراً وجميع عدة مجاميع، واختصر كتاب الأغاني للأصفهاني وخدم في عدة أعمال. منها كتابة المخزن وخزانة
الغلات بباب المراتب، وأشرف البلاد الحلية وغير ذلك، وصنف كتاباً في علم الكتابة وسماه جوهر اللباب في كتابة
احساب.

سنة ثلاثين وستمائة

في الحرم، قلد العدل مجد الدين أبو القاسم هبة الله بن المنصوري الخطيب، نقابة نقباء العباسيين والصلاة والخطابة
وخلع عليه قميص اطلس بطراز منهباً ودراعة خارا اسود، وعمامة ثوب خارا اسود مذهب بغير ذوابة، وطيلسان
قصب كحلي، وسيف محلي بالذهب وامتطى فرساً بمركب ذهباً، وقرىء بعض عهده في دار الوزارة وسلم إليه،
وركب في جماعة إلى دار أنعم عليه بسكنها في المطبق من دار الخلافة وأنعم عليه بخمسمائة دينار، وهو من أعيان
عدول مدينة السلام وأفاضل أرباب الطريقة المتكلمين بلسان أهل الحقيقة. كان يصحب الفقراء دائماً ويأخذ نفسه
بالرياضة والسياحة والصوم الدائم والنخس التباعد من العالم، وكان الموفق عبد الغافر ابن الفوطي من جملة تلامذته
فعمل فيه أبيتاً طويلة، لما انتهى حالها إلى الديوان أنكر ذلك عليه ووكل به أياماً ولم يخرج إلا بشفاعته، وأول
الأبيات:

في دسته جالسا بيسملة ... بين يديه أن قام في أدب
وركية منه كنت أعهدده ... يذم أربابها على الرتب
وكان أبنائها لديه على ... سحق من الله شامل الغضب
أصاب في الرأي من دعاك لها ... وأنت لما أجبت لم تصب

أول صوت دعاك عن غرض ... لبيته مقبلا على السبب
ويقول فيها:

قد كنت ذاك الذي تظن به ... لو لم تكن مسرعاً إلى الرتب
شيخي أين الذي يعلمنا الز ... هد ويعتده من القرب
أين الذي لم يزل يسلكنا ... إلى خروج عن كل مكتسب
أين الذي لم يزل يعرفنا ... فضل العتري بالجوع والتعب
ومنها:

أين الذي لم يزل يرغبنا ... في الصوف لبسا له وفي الجشب
وأين من غرنا بزخرفه ... متى اعتقدناه زاهد العرب
وأين ذاك التجريد يشعرا ... أن سواه في السعي لم يجب
وأين من لم يزل يذم لنا ... الدينا وقول الخال والكذب
وأين من لم يزل بأدمعه ... يخدعنا باكياً على الخشب
وأين من كان في مواعظه ... يصول زجراً عن كل مجتذب
ويقطع القول لا يتممه ... منظبا بالسماح والطرب
يقسم الغمر أنه رجل ... ليس في الوجود من أرب
لو كانت الأرض كلها ذهباً ... أعرض عنها أعراض مكش
أسفر ذاك الناموس مخيلاً ... عن راغب في التراث مستلب
وكان ذاك الصرخ يزعجنا ... شكوى فقير على الدنا وصب
شيخي بعد الدم الصريح لما ... أينه جنته على طلب
نسيت ما قلته على ورع ... عني لما اكتسبت بالدأب
ويل له أن يمت بخدمته ... يمت كفوراً وليس بالعجب
ما كان مال السلطان مكتسباً ... لمؤمن سالم منالعط
هذا ورزقي من وقف أربطه ... قدر طفيف أعطاه بالتعب
ولست في ثروة أسر بها ... دنياي منها موفورة النشب
فليت شعري ماذا أقول ... وقد حلت منها في مرتع خصب
أعطيت كرامة فتهت بها ... عن طلب كان أشرف الطلب
لو أنها نجمة خشيت على ... دينك شركا يكون عن كشب
وأن ذاك الحنيك منعطقا ... لجام من يدعي ولم ينب
شيخي بعد التفضيل منتقيا ... ثوباً قصيراً مجاوز الركب

اختلت في ملبس ذلادله ... تسحب من طولها على الترب
يرفعها كل شادن غنج ... يفتن نساكنا على الرهب
واعترضت من عصي الزهادة من ... حولك مشي الغلمان بالقبض
لو كنت والله زاهداً ورعاً ... لم ترضى دنيا الغرور باللعب
وكان في الله شاغل أبداً ... عما تراه بعين محتجب
لا يغتر بعد ذا أخو ثقة ... بمحسن في جميل مطلب
وليغظ مدعي تقريه ... بحال شيخي الفتون وليتب
فكتب النقيب قطب الدين الحسن بن الاقساسي إلى النقيب مجد الدين المذكور أبياتاً كالمعتذر عنه والمسلمي له، يقول
في أولها:

أن صحاب النبي كلهم ... غير علي وآله النجب
مالو إلى الملك بعد زهدهم ... وضطربوا بعده على الرتب
وكلهم كان زاهداً ورعاً ... مشجعاً في الكلام والخطب
فأخذ عليه فيها مأخذ فيما يرجع إلى ذكر الصحابة والتابعين وتصدى له جماعة وعملوا قصائد في الرد عليه، وبالغوا
في التشنيع عليه، حتى أن قوما استفتوا عليه الفقهاء ونسبوه إلى أنه طعن في الصحابة والتابعين ونسبهم إلى قلة الدين
فافتاهم الفقهاء بموجب ما صدرت به الفتيا.

وفيها، قدم راجح بن قتادة مكتة شرفها الله تعالى في جمع كبير ودخلها واستولى عليها، وطرد من كان بها من
عساكر الكامل أبي المعالي ودخلها واستولى عليها، وطرد من كان بها من عسكر الكامل أبي المعالي محمد بن العادل
صاحب مصر، فلما بلغ الكامل ذلك أرسل إلى مكة عسكراً فلما علم راجح بقدمهم نرح عنها فدخلها العسكر
بغير محاربة، وطبوا قلوب أهلها وأحسنوا إليهم، بخلاف ما فعل راجح لما وليها

وفيها، حصر الكامل أبو المعالي المذكور مدينة آمد، وضيق على أهلها وأضعفهم بقلعة الميرة وغيرها، واستولى عليها
وملكها عنوة، وكان صاحبها الملك مسعود الدوادار الملك.

وفيها، رد النظر في أوقاف مدارس الحنيفة والربط وجامع السلطان إلى فخر الدين أبي طالب أحمد ابن الدماغاني
مشرف الديوان وكفت يد نواب قاضي القضاة ابن مقبل عنها.

وفيها، وصل الأمير حسام الدين أبو فراس بن جعفر بن أبي فراس الذي كان أمير الحاج في الأيام الناصرية وقد
تقدم ذكر مفارقتة للحاج مسيره إلى الشام، ومصر، ملتجأ إلى الكامل أبي المعالي محمد بن العادل، هرباً من الوزير
القمي وحدراً من قصيدة أياه، فلما بلغه عزله كاتب الديوان واستأذن في العودة فأجيب سؤاله فلما وصل إلى مدينة
السلام، حضر عند نصير الدين بن الناقد نائب الوزارة فخلع عليه ومضى إلى داره بسوق العجم ثم استدعي بعد
أيام وخلع عليه وأعطى سيفاً محلي بالذهب وأمطي فرساً وأعطى سبعة أحمال كوسات وأعلاماً، وضم إليه جماعة من
العسكر وأقطع بلد دقوقاً.

وفيها، صرف تاج الدين أبو الفتوح علي بن هبة الله بن اللوامي، عن أشرف دار التشريعات وخرج راجلاً إلى
داره، ورتب عوضه تاج الدين أبو المظفر محمد بن الضحاك.

وفي جمادى الآخرة، فرج عن ولد مؤيد الدين القمي وجميع أصحابه وأتباعه.

وفي شهر رمضان، فتحت دور الضيافة بجاني مدينة السلام جريباً علي العادة في كل سنة وزيد فيها داران أحدهما

بدار الخلافة لاولاد الخلفاء المقيمين في دار الشجرة، والأخرى بحرية ابن جرادة، للفقراء الهاشميين. وفي هذه السنة، سير جمال الدين بلكك الناصري إلى قلعة زرده ومعه عدة من العسكر، فحصرها وضيق على من بها وجرت بينهم حروب كثيرة وقتال شديد، فملكها عنوة وقهراً واستولى عليها وأرسل إلى الخليفة يعرفه ذلك، فاستبشر به ونظم الشعراء في ذلك أشعاراً كثيرة.

ذكر فتح أربل

في سابع عشر شهر رمضان، ورد الخبر إلى بغداد بوفاة مظفر الدين أبي سعيد كوكبري بن زين الدين علي كوجك صاحب أربل فتقدم الخليفة بتعيين جماعة من الأمراء يكون مقدمهم الأمير أرغش الناصري الرومي، وعلاء الدين الدكر الناصري للتوجه إلى أربل وتقديم إلى ظهير الدين أبي علي الحسن بن عبد الله عارض الجيش بالتوجه أيضاً فتوجهوا مصعبين في خامس عشر الشهر.

وفي ثالث شوال، توجه شرف الدين أبو الفضائل أقبال الشراي بالعسكر فوصلوا في ثالث عشر شوال، وكان في القلعة خادمان أحدهما اسمه برنقش والآخر اسمه خالص، كانا قد كتبنا إلى الخليفة وإلى عماد الدين زكي صهر مظفر الدين والي بني أيوب حيث تحمل مظفر الدين في المرض يعرفهم ذلك وقالوا: من سبق إلينا كانت منتا عليه. وكتبنا إلى الملك الصالح أيوب بن الكامل أبي المعالي محمد يعلمانه بموته ويحثانه على الجيء فلما شاهدنا عساكر الخليفة سقط في أيديهما وعلما أنه قد انتهى إلى الخليفة ما فعلا فامتنعا من فتح البلد فلما رأى الشراي أنهم أغلقوا أبواب المدينة دونه، استدعى الأمير جمال الدين قشتمر وقال له: ما لهذا الأمر سؤال وإذا فعلت شيئاً لا يسع غيرك إلا موافقتك فركب في الحال من غير استراحة ودار ليله أجمع حول البلد وهم على السور، بالاضواء والطبول ثم قسم أبواب البلد على الأمراء وضرب هو خيمة مقابل باب عمكا واللونه أعظم الأبواب وأكثر المقاتلة هناك، ونصب البيت الخشب مقابل الباب بالقرب منه بحيث يسمع كلامهم ويسمعون كلامه، ويصل نشاب الجرخ إليه ولم يزل نهاره أجمع يرقب ما يعملون ويشاهد ما يصنعون وفي الليل يدور على العساكر ويجرض على الحراسة والحفظ، والشراي يرسل الخادمين المذكورين ويخوفهما عاقبة العصيان فسألا أن يؤخرا يومين فأجيبا وكان وغرضهما أن يصل الملك الصالح أيوب المقدم ذكره، فلما اتقضى الامد نفذ جمال الدين قشتمر إلى أحد زعمائهم وقال له: أخلفتم الوعد، وخوفهم وحذرهم، فرد عليه جواباً غير مرضي ثم رمى وراء رسوله بالنشاب فوق وقع قريباً من الاطناب فقال قشتمر لجماعة من مماليكه أقربوا منهم وتحرشوا بهم فأخذوا في سيهم ورموا بالنشاب إلى جهتهم فما زال الأمر يزداد حتى وقع الزحف على البلد وقت العصر واشتد الرمي من فوق السور بالنار وأنواع السلاح، وكثر في الفريقين القتل والجراح وسار قشتمر حتى وقف على الخندق فاشتد القتال حينئذ وقوي جأش المقاتلين بوجوده فركب الشراي في لامة حربته ووقف على نشز فأخبر قشتمر بركوبه فقصدته ووقف إلى جانبه، فساعة اجتماعها أخبرا بالنصر والفتح وتسليم القلعة، ونهب أوباش العسكر بعض دورها، واستولى العسكر على البلد عنوة. وكتب الشراي على جناح طائر إلى الخليفة بصورة الحال فحصل الاستبشار بذلك وضربت الطبول على باب النوبي، وأفرج عن جميع المعتقلين في الحبوس وحضر الشعراء في الديوان و أوردوا قصائد تتضمن الهناء بهذا الفتح والنصر. فمن أورد القاضي أبو المعالي القاسم بن أبي الحديد للدائني قصيدة أولها:

ما يشيت الملك بين الخوف والخطر ... حتى يقام ويسقى من دم البشر

لكل شيء طريق يستفاد به ... وليس للعز غير الصارم الذكر
ومنها:

مافتح أربل عن بخت لذي دعه ... ولا اتفاقاً كبعض النصر والظفر
لكنه كان قصد القادريين وأف عال المطيعين عن قصد وعن فكر
فليسبح الاشعري اليم لي فأنا ... في فتح أربل لا الوي على القدر
وقال أخوه عز الدين عبد الحميد الكاتب قصيدة، اتفق له فيها أن الوزير كان ترتيبه يوم سابع عشر شوال سنة
تسع وعشرين وفتح أربل يوم سابع عشر شوال سنة ثلاثين فقال:
يا يوم سابع عشر شوال الذي ... رزق السعادة أولاً وأخيراً
هنتت فيه بفتح أربل مثلما ... هنتت فيه وقد جلست وزيرا

وتقدم الخليفة، باحضار الأمير شمس الدين باتكين أمير البصرة فكتب بالحضور فوصل من البصرة إلى رابع ذي
القعدة، وحضر نصير الدين ابن الناقد نائب الوزارة فشافه بولاية أربل وتقدم إليه بالتوجه إليها على فوره، فتوجه
من وقته فوصلها في تاسع عشر الشهر وحضر عند شرف الدين أقبال الشراب في المخيم يظاهر أربل، فخلع عليه
وقلده سيفاً وأعطاه فرساً وأعطاه كوسات واعلاماً، فركب في جمع كثير من الأمراء والأجناد ودخل الجامع فقريء
عهده به بمحضر من أهل البلد وغيرهم، تولى قرأته ظهير الدين الحسن بن عبد الله، وكان قد عين عليه لوزارته،
وركب إلى القلعة ونزل في دار الإمارة التي كان يسكنها مظفر الدين، ثم خلع الشراي على ظهير الدين الحسن بن
عبد الله ثم على ظهير الدين الحسن بن المصطفي وجعله مشرفاً عليه، ورتب معها كاتباً الاجل ابن عبدان النصراني ثم
رتب جمال الدين ابن عسكر الانباري عارضاً للجيش هناك، وجعل عليه مشرفاً عز الدين محمد بن صدقة وخلع
عليهما فلما قرر القواعد وفرغ مما يريد، رحل عائداً إلى بغداد والأمراء والعساكر في خدمته، فوصل ظاهر إلى
الخالص في عاشر ذي الحجة فنزل بقرية تعرف - بقرية أبي النجم - فخرج الخلق الكثير إلى تلقيه فصلى هناك ونحر
وضحى ومد سماطاً عظيماً، ثم رحل في حادي عشر ذي الحجة متوجهاً إلى بغداد فلما وصل ظاهر سوق السلطان
خلع على جميع أصحابه ومن كان في خدمته من التواب والاتباع والحاشية، وخرج إليه جميع الولاة وأرباب المناصب
والامائل والاعيان فلقوه بظاهر السور ولم يخلف أحد من الخروج سوى الوزير، ثم سار حتى وصل دجلة ونزل عند
المسناة في شبارة الخليفة وقبلها وتضرع بالدعاء وبكى فخشع الحاضرون لبكائه ثم نزل فيها وانحدر إلى دار الخلافة
فتلقى بالاكرام ثم خلع عليه وقلده سيفين وقدم له فرس فركبه من باب البستان ورفع وراءه سنجان، وأما الأمراء
جميعهم فأثم دخلوا البلد وقصدوا دار الخليفة، ودخلوا من باب الحرم بموجب ما رسم لهم وجلسوا في باب الأتراك
إلى أن خرج ركباً فقبلوا يده ومشوا بين يده إلى باب الباتي ثم ركبوا وساروا في خدمته إلى داره بالبدرية فلما نزل
عن مركوبه خدموا وعادوا قاصدين دار نصير الدين نائب الوزارة فلقوه فخلع عليهم اجمعين، وأعطى كل واحد
فرساً بمركب وحمسة آلاف دينار وأنعم على من دونهم على قدر مرتبته من الالفين إلى الخمسمائة، ثم خلع على
جميع المماليك الناصرية والظاهرية والمستصرية وأعطى كل واحد خمسين ديناراً، ثم أنعم على جميع الجند ومماليك
الأمراء والعرب من ثلاثين إلى خمسة عشر، ثم أحضر علاء الدين أبو طالب هاشم بن الأمير السيد العلوي وولي
عارض الجيش، وخلع عليه بدار الوزارة عوضاً عن ظهير الدين بن عبد الله، وولي الأمير أرغش الرومي الناصري
إمارة البصرة وخلع عليه وتوجه إليها.

ذكر عدة حوادث

وفي هذه السنة، دخل قوم على رجل يعرف بابن اللؤلؤي داره بالعوتين وقتلوه، ظناً أنه معه ذهباً فلم يروا معه شيئاً ولم يعرف لهم خبر. وفيها. خنق إنسان يعرف بمحمد الخياط نسيب لبني ياسين نفسه بجبل في داره باللوزية قيل أنه كان شديد الضائقة وعنده تعفف وعزوف نفس عن الطلب. وفيها، توفي أبو محمد عبد الله بن الشيخ أبي النجيب السهروردي، من بيت التصوف وأولاد المشائخ، ذكر أنه خرج عن جميع ماله ووقفه، فلما قدم الشيخ شهاب الدين عمر السهروردي قدم على غاية الفقر مجرداً من الدنيا فضاقت صدر الشيخ أبي النجيب كيف لم يرضخ في الوقف بنصيب، فسأل ولده أن يعطيه شيئاً من نصيبه فلم يوافق فقال له الشيخ أبو النجيب وقد احتد: والله لنتحاجن إليه، ومضى على ذلك برهة فتقدم الشيخ شهاب الدين وأثرت حاله وفتحت عليها الدنيا فأحتاج عبد الله هذا إليه واسترفده وما زال يواصله إلى أن مات. وفيها، توفي أبو المحاسن محمد بن نصر الأنصاري المعروف بابن عتير الكوفي أصلاً، ولد بدمشق ونشأ بها، وهو شاعر مشهور سافر إلى الآفاق في التجارة ومدح الأكابر في كل البلاد، وكان ظريفاً حسن الأخلاق جميل المعاشرة ذا ثروة، وكانت وفاته بدمشق، وحج بالناس في هذه السنة، الأمير شمس الدين أصلان تكين.

سنة إحدى وثلاثين وستمائة

في الحرم، أعيدت الحلة السيفية إلى الأمير جمال الدين قشتمر الناصري وتوجه إليها.

وفيها، نفذ الأمير بدر الدين سنقرجاه الظاهري أمير آخور الخليفة المستنصر بالله إلى الموصل ومعه خلعة السلطنة وتقليد لبدر الدين لؤلؤ الرومي الاتابكي صاحب الموصل، فخلع عليه وأعطاه فرساً بمركب ذهباً، وكنبوش أبريسما، وسيف ركاب ومشدة في عنق القوس، ولقب الملك المسعود وأذن له أن يذكر اسمه على المنابر ببلده ونقشه على سكة العين والورق.

وفيها ولي تاج الدين أبو الفتوح علي بن هبة الله بن الدوامي، عارض الجيش، عوضاً عن علاء الدين هاشم بن الأمير السيد، وعزل الأمير شمس الدين أصلان تكين عن إمارة الحاج، وولي شمس الدين قيران الإمارة مرة ثانية. وفيها، عزل يحيى بن المرتضى النيلي عن النظر بواسط، وولي عوضه قوام الدين علي بن غزاة المدائني.

ذكر فتح المدرسة المستنصرية

في جمادي الآخرة، تكامل بناء المدرسة المستنصرية التي أمر بإنشائها الخليفة المستنصر بالله، وكان الشروع فيها في سنة خمس وعشرين وستمائة، وأنفق عليها أموال كثيرة، فركب نصير الدين ابن الناقد نائب الوزارة في يوم الاثنين خامس عشر جمادي الآخرة وقصد دار الخلافة واجتاز بها إلى دجلة، ونزل في شبارة من باب البشري مصعداً إلى الدار المستجدة المجاورة لهذه المدرسة، وصعد إليها وقبل عتبتها ودخلها وطاف بها ودعا لملكها، وكان معه استاذ الدار مؤيد الدين أبو طالب محمد بن العلقمي، وهو الذي تولى عمارتها، ثم عاد متوجهاً إلى داره في الطريق التي جاء بها وخلع على استاذ الدار وعلى أخيه أبي جعفر وعلى حاجبه عبد الله بن جمهور وعلى المعمار والقراشين المرتين في

الدار المذكورة المستجدة وعلى مقدمي الصناعات، ونقل في هذا اليوم إلى المدرسة من الربعات الشريفة والكتب النفيسة الختوية على العلوم الدينية والأدبية ما حملة مائة ستون حملاً، وجعلت في خزانة الكتب، وتقدم إلى الشيخ عبد العزيز شيخ رباط الحريم بالحور بالمدرسة واثبات الكتب واعتبارها، وإلى ولده العدل ضياء الدين أحمد الخازن بخزانة كتب الخليفة التي في داره أيضاً فحضر واعتبرها ورتبها أحسن ترتيب مفصلاً لفتونها ليسهل تناولها ولا يتعب مناوها.

وفي بعض هذه الأيام، حضر الخليفة هناك، وحضر الشيخ عبد العزيز بين يديه وسلم عليه، وأعقب دعائه بأن تلا قوله تعالى (تبارك الذي أن شاء جعل لك من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصوراً) فبدأ خشوع الخليفة وتقاطرت دموعه.

وفي يوم الخميس خامس شهر رجب، حضر نصير الدين نائب الوزارة وسائر الولاة والحجاب والقضاة المدرسون والفقهاء ومشايخ الربط والصوفية والوعاظ والقراء والشعراء وجماعة من أعيان التجار الغرباء إلى المدرسة، وتخير لكل مذهب من المدارس وغيرها اثنان وستون نفساً، ورتب لها مدرسان ونائبا تدريس، أما المدرسان فمحمي الدين أبو عبد الله محمد بن يحيى بن فضلان الشافعي ورشيد الدين أبو حفص عمر بن محمد القرغاني الحنفي، وخلع على كل واحد منهما جبة سوداء وطرحه كحلية وأمطي بغلة بمركب جميل وعدة كاملة، وأما النائبان فجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن يوسف بن الجوزي الحنبلي، ونيابة عن ولده لأنه كان مسافراً في بعض مهام الديوان، والآخر أبو الحسن علي المغربي المالكي وخلع على كل واحد منهما قميص مصمت وعمامة قصب، ثم خلع على جميع المعيدين وهم لكل مذهب أربعة خلعا بالحكاية، ثم خلع على المتولين للعمارة والصناعات والحاشية وعلى المعينين للخدمة بخزانة الكتب، وهم الشمس علي بن الكنتي الخازن والعماد علي بن الدباس المشرف والجمال ابراهيم بن حذيفة المناول، ثم مد سماط في صحن المدرسة أجمع فكان عليه من الاشربة والحلواء وأنواع الأطعمة ما يجاوز حد الكثرة فتناوله الحاضرون تعبئة وتكويراً ثم أفيضت الخلع على الحاضرين من المدرسين ومشايخ الربط والمعيدين بالمدارس والشعراء والتجار الغرباء، ثم أنشد الشعراء المدائح فيها وفي منشئها: فمنن أورد العدل أبو المعالي القاسم بن أبي الحديد المدائني الفقيه الشافعي:

ما مثل الفلك العظيم لمبصر ... في الأرض قبل أيلة المستبصر
هذا بناء معرب عن قدرة ... رفعت قواعده بفعل مطهر
حسدت به الأرض السماء ولم يزل ... حسد الفضائل في طباع العصر

أنظر تجد نظم الثريا في ذرى ... شرفاته وضيء نور المشتري
ضحك الزمان وذاك بعد عبوسه ... ورأى الصواب وذاك بعد تحير
فالأفق بين مفضض ومذهب ... والجو بين مكوفر ومعبر
والأرض حاسرة القناع كأنها ... خود تخرج في رداء أخضر
تزهو بما عمر الخليفة فوقها ... علما لاحكام البشير المنذر
بالجانب الشرقي باشاطي الذي ... هو طور سينا كل صاحب منبر
ومنها:

ماحق دجلة أن تفوه بلفظة ... قهرت وأي مساجل لم يقهر
غلب العطاء الماء فيها واثني ... سدا يفوق صناعة الاسكندر

أن أصبحت بحراً فإن بنائه ... بإفاضة المعروف خمسة أبحر
وضع الإمام بها أساس بنائه ... والموج بين مجتمعه ومنحجر
قصرًا ومدرسة لمن طلب الغنى ... أو رام شأواً العالم المتجر
هي جنة الفردوس يجري تحتها ... من ماء دجلة ماء نهر الكوثر
حصباؤها در النظام وتربها ... مسك الجندب؟ وطينها كالعبر
أضحى سليمان الزمان وأهله ... مستخدماً فيها بجنة عبقر
لبس الغبي بها شهامة ماهر ... وغدا المقل مزاحماً للمكتر
لم تخل من حبر وشيخ فاضل ... يروي الحديث وساجد ومعفر
قد كانت الفقهاء قبل بنائها ... في كل قطر واحد لم يذكر
فرقى يشق على المريد طابها ... في الشرع والمطلوب كالمعتد
فاليوم قد جمعت أمور الدين في ... أرجائها وأزيل عذر المقصر
وأورد بعده جماعة كثيرة، ثم ذكر المدرسان المقدم ذكرهما الدروس كل واحد منهما على حدته، والنائبان كل واحد
منهما تحت السدة ثم قسمت الأرباع فسلم ربع القبلة الأيمن إلى الشافعية، والربع الثاني يسرة القبلة للحنفية،
والربع الثالث يمينه الداخل للحنابلة، والربع الرابع يسرة الداخل للمالكية، وأسكنت بيوتها وغرفها وأجري لهم
الجرارية الوافرة. عملاً بشرط الواقف، ثم هض نصير الدين وأرباب الدولة والحاضرون وكان يومئذ الخليفة جالساً
في الشباك الذي في صدر الإيوان، ينظر جميع ماجرت الحال عليه.

تلخيص شروط هذه المدرسة

شروط أن يكون عدة الفقهاء مائتين وثمانية وأربعين متفقها من كل طائفة أثنان وستون بالمشاهرة الوافرة والجرارية
الدارة واللحم الراتب والمطبخ الدائر إلى غير ذلك من الحلواء، والفواكه، والصابون والبر، والفرش، والتعهد،
وشروط أن يكون في دار الحديث التي بها شيخ عالي الأسناد وقارئان وعشرة أنفس يشتغلون بعلم الحديث النبوي،
وأن يقرأ الحديث في كل يوم سبت واثنين وخميس من كل أسبوع، وشروط لهم الجارية، والمشاهرة، والتعهد أسوة
بالفقهاء وشروط، أن يكون في الدار المتصلة بالمدرسة، ثلاثون صبياً أيتاماً يتلقنون القرآن الجيد من مقرأ متقن
صالح، ويحفظهم معيد معه وهم من الجارية، والمشاهرة، والتعهد، ما للمشتغلين بعلم الحديث، وشروط، أن يرتب بها
طبيب حاذق مسلم، وعشرة أنفس من المسلمون يشتغلون بعلم الطب، ويوصل إليهم مثل ما للمقدم ذكرهم، وأن
يكون الطبيب يطب من يعرض له مرض من أرباب هذا الوقف، ويعطي المريض ما يوصف له من أدوية وأشربة
وغير ذلك، وشروط أن يكون بها من يشتغل بعلم الفرائض والحساب إلى غير ذلك، مما إذا أسقصي ذكره، طال
تعداده.

ذكر عدة حوادث

في تاسع رجب، رتب القاضي أبو النجيب عبد الرحمن بن القاضي يحيى بن القاسم التكريتي ناظراً في مصالح المدرسة
المستصرية، ورتب العدل عبد الله بن ثامر مشرفاً عليه، ورتب معهما العدل أبو منصور القاضل بن محمد كاتباً،
ورتب العدل بن أبي البدر خازناً، وخلع على جميع.

وفي شهر رمضان، وصل محيي الدين يوسف بن الجوزي من مصر وخلع عليه بدار الوزارة، خلعة التدريس على الحنابلة، بالمدرسة المستنصرية، وحضر المدرسة بالخلعة ومعهم جميع الولاة والحجاب فجلس على السدة وخطب وذكر دروساً.

وفي ذي القعدة، توفي محيي الدين أبو المظفر بن البوقي، أصله من واسط من أولاد الفقهاء، أحب التصرف ودخل فيه فخدم عدة خلمات آخرها صدرية بلاد خوزستان، بقي على ذلك مدة ثم عزل.

وفيها، وصل الأمير مظفر الدين ببنام الرومي الناصري زعيم تستر معزولاً، وولي عوضه الأمير علاء الدين الدكر الناصري شحنة بغداد، وولي ظهير الدين الحسن بن عبد الله، ناظراً في أعمال خوزستان ومواليها لديوانها. وفيها، خلع أمير الحاج شمس الدين قركان وتوجه بالحاج، فلما وصلو بعض المنازل بلغهم أن العرب الاجاودة طموا الآبار في منزل سلمان، وعزموا على أخذهم، فأشاروا على أمير الحاج بالعود إلى بغداد، فاستفتى من كان في الحاج من الفقهاء في ذلك، فأفتوا بجواز الرجوع، فرجع بالناس فلما وصلوا ذكروا أنهم طلبوا منهم المصالحة على مال، وتجاوزوا حد الكثرة فيه، وطلبوا اطلاق محوسين لهم ببغداد، وأخذ وجوه الحاج رهائن على اطلاقهم وترددت الرسل بينهم في ذلك، هذا كله: والحاج نازلون على ماء قليل يصل إلى بعضهن بالقوة الجاه، وتمادت الأيام وتحقق فوات الحج، فعدلوا عن مصالحتهم، وتوجهوا عائدين، فمات منهم خلق كثير، ومعظم الجمال، وأحرقوا من أزوادهم وأمتعتهم قبل رحيلهم شيئاً كثيراً لئلا تأخذهم العرب، فقال الفقيه أبو الحسن علي بن البطريق قصيدة:

كتبها إلى الخليفة يحرضه على قتال العرب، هذه الأبيات منها:

الكفر في الترك دون الكفر في العرب ... أليس منهم إذا عدوا أبو هب

أليس منهم أبو جهل وبنتمهم ... عدوة المصطفى حمالة الحطب

فيا إمام الهدى يا خير من نظمت ... له المدائح، يابن السادة النجب

يا أيها القائم المنصور أنت إذا ... حضرت وجه رسول الله لم تعب

فاغز الأعراب بالأترارك منتقما ... منهم ولا تر فيهم حرمة النسب

فقد غزاهم رسول الله في حرم ... الله المنيع بإذن الله وهو نبي

وما رعى فيهم آلا ولا نسباً ... ولم يقل أن أمة منهم وأبي

أن أدعوا أنهم قد أسلموا فقذار ... تدوا بمنعهم للحج عن كتب

وكان قد وصل تابوت مظفر الدين كوكبري صاحب أربل ونفذ صحبة الحاج ليدفن في مكة فلما رجع الحاج، دفن في مشهد علي عليه السلام.

وفيها، نقل تاج الدين معلى من صدرية المخزن، إلى صدرية ديوان الزمام، ونقل عميد الدين بن عباس من الأشراف عليه هناك، وجعل مشرفاً عليه في الديوان.

وولي جمال الدين عبد الله بن الناقد صدرا بالمخزن نقلاً من الحجية به، وخلع عليه في دار أخيه نصير الدين، ورتب فخر الدين أحمد بن الدامغاني مشرفاً عليه نقلاً من أشراف ديوان الزمام، وخلع عليه.

وفيها، توفي أبو عبد الله العباس بن الخليفة الظاهر، وتوفي أيضاً الشيخ أبو العباس أحمد بن ثبات الهمامي الواسطي، كان أحد علول واسط، وتولى قضاء الهمامية مدة ثم ترك ذلك، وقدم ببغداد، وأقام بالمدرسة النظامية نحواً من أربعين سنة، يقرئ الناس علم الحساب والفرائض، وصنف في ذلك كتباً، وكان لا يخرج من المدرسة إلا لصلاة الجمعة، مضى على ذلك عمره إلى أن توفي، وكان شيخاً بارداً الكلام جداً، من يسمع كلامه يخاله أبله، فإذا أملي مسائل

الحساب أتى بكل حسن.

وتوفي مجد الدين محمد بن زعرور، كان أولاً يتصرف في أعمال السواد، ثم رتب نائباً بالجانب الغربي مدة، ثم ولي نظارة واسط وأقام بها سنين، ثم فصل عنها فأقام ببغداد مدة، ثم عين عليه صدراً بنهر عيسى. ونهر الملك. وهبت والأنبار، وجعل له ديوان مفرد، فكان على ذلك إلى أن توفي.

وتوفي، تاج الدين أبو الحسن علي بن الأنباري الواسطي، ولد بواسط وخدم في أعمالها، ثم قدم ببغداد وخدم ناظراً في ديوان العقار، ثم رتب ناظراً بديوان واسط، ثم عزل ورتب مشرفاً في البلاد الحلية مدة، ثم ناب في أعمال المخزن، ثم ولي أشرف الديوان ثم نقل إلى صدرية ديوان الزمام، فلم يزل على ذلك إلى أن مات، وكان ظالماً متحيفاً.

وفيهما، توفي أبو عبد الله محمد بن يحيى بن فضالان، كان فقيهاً عالماً، درس بعد أبيه بمدرسة فخر الدولة بن المطلب، ورتب كاتباً بدار التشريعات، ثم تولى تدريس المدرسة النظامية والنظر في أوقافها إضافة في دار التشريعات، ثم عزل عن النظامية خاصة وتوفر على خدمته بدار التشريعات وتدریس - دار الذهب - ورفع الطرحة، ثم قلد قضاء القضاة، ورد إليه النظر في ديوان الحسبة والنظر في أوقاف المدارس والأربطة، فلم يزل على ذلك إلى أن توفي الخليفة الناصر لدين الله، فلما بويع الظاهر بأمر الله، عزله فلزم منزله لا يخرج منه إلا لصلاة الجمعة، ثم استدعي وولي نظارة المارستان العضدي، فكان على ذلك شهوراً، ثم عزل نفسه ولزم بيته إلى أن استدعي وولي النظر بديوان الجوالي واستيفاء ثروات أهل الذمة، ثم ولي تدريس - مدرسة الأصحاب - فتردد إليها مدة ثم تركها، وتوفر على ديوان الجوالي ثم نفذ في رسالة إلى ملك الروم، فلما عاد رتب مدرس الطائفة الشافعية: بالمدرسة المستنصرية فكان على ذلك إلى أن توفي.

حكى عنه: أنه كتب للخليفة الناصر لدين الله لما كان يتولى ديوان الجوالي رقعة طويلة يقول فيها: مذهب الشافعي رضي الله يقضي أن المأخوذ من أهل الذمة، أعني اليهود والنصارى وكل سنة أجرة عن سكنهم في دار السلام، والارتفاع بما أفقها لا يتقدر في الشرع بمقدار معين في طرف الزيادة ويتقدر في طرف النقصان بدينار، فلا يؤخذ من أحد منهما على الإطلاق أقل من دينار ويجوز أن يؤخذ ما يزيد على الدينار إلى المائة، حسب امتداد اليد عليهم مهما أمكن، فإن رأى أن يتضاعف على كل شخص منهم ما يؤخذ منه، فللأراء الشريفة علوها في ذلك، وهذا لا يبين عليهم لا في أحوالهم ولا في ذات أيديهم لأن الغالب على الجميع التخفيف في القدر المأخوذ منهم، وهم ضروب وأقسام، منهم من هو في خدمات الديوان وله المعيشة السنوية غير بركة يده الممتدة إلى أموال السلطان والرعية من الرشا والبراطيل، ولعل الواحد منهم ينفق في يومه القدر المأخوذ منه في السنة، هذا مع ما لهم من الحرية الزائدة والجاه القاطع والترقي على رقاب خواص المسلمين، وقد شاهد العبد وغيره من الفقهاء الحاضرين في المخزن لتناول البر المنقيل: أن ابن الحاجب قيصر، أقام ابن محرز الفقيه من طرف موضع كان به، وأقعد مكانه ابن زطينا كاتب المخزن لمكان خدمته وقد روي عن علي عليه السلام أنه قال: أمرنا أن لا نساويهم في المجلس ولا نشيع جنازتهم ولا نعود مرضاهم ولا نبدهم بسلام وقد كان ابن مهدي استفتى العبد وغيره، في تولية ابن ساوا النظر بواسط، فقال له العبد: لا يجوز ذلك، وذكر له قصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع أبي موسى الأشعري وذلك أنه عرض عليه حسبة عمل من الأعمال فأعجبته، فقال من كاتب هذه؟ وكان عمر جالساً في المسجد، فقال له أبو موسى: رجل بباب المسجد، فقال عمر: ما باله لا يدخل المسجد أجنب هو؟ قال: لا إنما هو نصراني، فغضب عمر

وقال: أتقربونهم وقد أبعدهم الله وتأتونهم وقد وخونهم الله وترفعونهم وقد وضعهم الله لا يعمل لي هذا عملاً في بلد من بلاد الإسلام، ثم ليس لهم في بلد من الحرمه والجاه والمكانه ما لهم في مدينة السلام، فلو تضاعف المأخوذ منهم مهما تضاعف، كان لهم الربح الكثير. ومنهم الاطباء أصحاب المكاسب الجزيلة، بترددهم إلى منازل الأعيان، وأرباب الأحوال ودخولهم على المتوجهين في الدوله، والناس يتحملون فيما يعطون الطبيب زائداً على القدر المستحق، وهو أمر من قبل المروآت فلا ينفكون عن الخلع السنيه والدنانير الكثيره والطرف في المواسم والفصول مع ما يحطون في المعالجات ويفسدون الأمزجة والأبدان، ويخرج الصبي منهم ولم يقرأ غير عشر مسائل حين، وخمس قوائم من تذكره الكحالين وقد تقمص ولبس العمامة الكبيرة وجلس في مقاعد الأسواق والشوارع على دكة حتى يعرف، وبين يديه المكحلة والملحدان يؤذي هذا في بدنه ويجرب على ذا في عينه، فيفتك من أول النهار إلى آخره ويمضي آخر النهار إلى منزله ومكحلته مملوءة قراضة فإذا عرف بقعوده على الدكة وصار له الزبون، قام يدور ويدخل الدور، ومنهم أرباب المعاش من العطارين والمخلطين والكسارين أصحاب المكاسب الظاهرة والارتفاقات الكثيرة بأموال التجار المسلمين وأخذهم من الحجر بالمدة وما يعفوا في ميزان الذهب، وميزان الارطال وما يغشون في الحوائج ويدغلون، ومنهم أصحاب الحرف والصناعات من الصاغة وغيرهم وما يتقبلون فيه من الذهب والفضة ويسرقون الذهب ويجعلون عوضه المس ويعدونه ويسرقون القضة ويجعلون عوض ذلك في المواضع المستورة بحسب احتمالها، تارة قارا وغير ذلك ومنهم الجهابذة وما يسرقون في القبض والتقيض، ومنهم الصيارف واحتجاجهم ببضاعة دار الضرب مع ما لهم من التبسط في المسلمات والمسلمين وبذل جزيل المال في تحصيل أغراضهم في الفساد ورفاهية العيش والتلذذ في المآكل والمشرب، ثم ما زالوا على اختلاف الزمان يؤخذون بالصغار ولبس الغيار الذي أوجبه الشرع عليهم، وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أمراء الأمصار، أن احملوا أهل الذمة على جز نواصيهم وأن يحتموا أعناقهم بخواتم من رصاص أو حديد، وأن يركبوا على الأكف عرضاً، وأن يشدوا الزنانير علي أوساطهم ليميزوا بذلك عن المسلمين، وعلى ذلك جرى الأمر في زمن الخلفاء الراشدين وآخر من شدد عليهم المقتدي بأمر الله واجراهم على العادة التي كانت في زمن

المتوكل، فعلق في أعناقهم الجلاجل ونصب الصور والخشب على أبوابهم لتمييز بيوتهم عن بيوت المسلمين، وأن لا يساوي بنيانهم ببيان المسلمين وألزم اليهود لبس الغيار والعمائم الصفرة، وأما النساء فلازرن العسليه، وأن تخالف المرأة منهم بين لوني خفيها، واحد أسود، والآخر أبيض، وأن يجعلوا في أعناقهن أطواقاً من حديد إذا دخلن الحمامات، وأما النصارى فلبس الثياب الدكن والفاختية وشد الزنانير على أوساطهم وتعليق الصلبان على صلورهم، وإذا أرادوا الركوب لا يمكنون من الخيل، بل البغال والحمير بالبراذع دون السروج عرضاً من جانب واحد، فهؤلاء قد حط عنهم هذا كله فلا يقابل ذلك بتضعيف ما يؤخذ منهم، وهؤلاء في أكثر البلاد يلزمون الغيار ولا يتمكنون من الدخول إلا في أرذل الصنائع وأرذل الحرف، أما في بخار سمرقند فممنقوا الكنف التجاري ورفع المزابل ومساقط الفضلات هم أهل الذمة، وأقرب البلاد إلينا حلب، وهم بما عليهم الغيار، ومن حكم الشرع أنه إذا أخذت الجزية منهم يدفعها المعطي منهم وهو قائم والآخذ قاعد يضعها في كفه ليتناولها المسلم من وسط كفه: تكون يد المسلم العليا ويد النمي هي السفلى، ثم يمد بلحيته ويضرب في لهازمه ويقول له: أد حق الله ياعدو الله ياكافر، واليوم منهم من لا يحضر عند العامل بل ينفنها على يد صاحبه، الصابئة قوم من عبدة الكواكب يسكنون في البلاد الواسطية لا ذمة لهم، وكان في قديم الزمان لهم ذمة، فاستفتى القاهر بالله أبا سعيد الاضطخري، من أصحاب الشافعي في حقهم، فأفتاه بأرقاة دمائهم وأن لا تقبل منهم الجزية، فلما سمعوا بذلوا له خمسين ألف دينار فأمسك

عنهم، وهم اليوم لا جزية عليهم ولا يؤخذ منهم شيء، وهم في حكم المسلمين والأمر أعلى: فيما وقف الخليفة على رفقته لم يعد عنها جواباً، ولما توفي ابن فضلان رتب عوضه في تدريس المدرسة المستنصرية قاضي القضاة أبو المعالي عبد الرحمن بن مقبل الواسطي مضافاً إلى القضاء. فعلق في أعناقهم الجلاجل ونصب الصور والخشب على أبوابهم لتتميز بيوتهم عن بيوت المسلمين، وأن لا يساوي بنياهم بنيان المسلمين وألزم اليهود ليس الغيار والعمائم الصفرة، وأما النساء فلازرن العسلية، وأن تخالف المرأة منهم بين لوني خفيها، واحد أسود، والآخر أبيض، وأن يجعلوا في أعناقهن أطواقاً من حديد إذا دخلن الحمامات، وأما النصارى فلبس الثياب الدكن والفاختية وشد الزنانير على أوساطهم وتعليق الصليبان على صدورهم، وإذا أرادوا الركوب لا يمكنون من الخيل، بل البغال والحمير بالبراذع دون السروج عرضاً من جانب واحد، فهؤلاء قد حط عنهم هذا كله فلا يقابل ذلك بتضعيف ما يؤخذ منهم، وهؤلاء في أكثر البلاد يلزمون الغيار ولا يتمكنون من الدخول إلا في أرذل الصنائع وأرذل الحرف، أما في بخار سمرقند فممنقوا الكنف المجاري ورفع المزابل ومساقط الفضلات هم أهل الذمة، وأقرب البلاد إلينا حلب، وهم بما عليهم الغيار، ومن حكم الشرع أنه إذا أخذت الجزية منهم يدفعها المعطي منهم وهو قائم والآخذ قاعد يضعها في كفه ليتناولها المسلم من وسط كفه: تكون يد المسلم العليا ويد الذمي هي السفلى، ثم يمد بلحيته ويضرب في لزامه ويقول له: أد حق الله ياعدو الله ياكافر، واليوم منهم من لا يحضر عند العامل بل ينفذها على يد صاحبه، الصابئة قوم من عبدة الكواكب يسكنون في البلاد الواسطية لا ذمة لهم، وكان في قديم الزمان لهم ذمة، فاستفتى القاهر بالله أبا سعيد الاصطخري، من أصحاب الشافعي في حقهم، فأفناه بأرقاء دماهم وأن لا تقبل منهم الجزية، فلما سمعوا بذلوا له خمسين ألف دينار فأمسك عنهم، وهم اليوم لا جزية عليهم ولا يؤخذ منهم شيء، وهم في حكم المسلمين والأمر أعلى: فيما وقف الخليفة على رفقته لم يعد عنها جواباً، ولما توفي ابن فضلان رتب عوضه في تدريس المدرسة المستنصرية قاضي القضاة أبو المعالي عبد الرحمن بن مقبل الواسطي مضافاً إلى القضاء. وتوفي على بن ابراهيم بن الانباري الذي كان صاحب الديوان.

سنة اثنتين وثلاثين وستمائة

فيها، رتب فخر الدين أبو سعيد المبارك بن المخرمي وكيل باب طراد والنظر بدار الشريقات عوض علي بن العنبري نقلاً من نيابة ديوان الزمام. وفيها، عزل شمس الدين علي بن سيقر الطويل عن الإمارة ولزم بيته وقصر نفسه فيه.

وفيها، تقدم بأحضار جماعة من الولاة وأرباب اللولة إلى دار الوزارة ثم جماعة من التجار والسيارف وأحضرت دراهم فضة وألقيت على نطع بين يدي نصير الدين ثم فُض قائماً والجماعة، وعرفهم أن الخليفة أنعم في حق رعيته وأقذهم من التعامل بالحرام وتجنب الآثام وأغناهم عن الصرف المشتتل على الربا بالمعاملة بهذه الدراهم عوضاً عن القراصنة، وقرر سعرها كل عشرة دراهم بدينار، واعطى الصيارف منها ما يعاملون الناس به. وفيهم، ختم الأمير أبو أحمد عبد الله ولد الخليفة المستنصر بالله القرآن المجيد على مؤدبه العدل أبي المظفر علي بن النيار واحضر له خلعة: قميص اطلس وبقيار قصب بمغربي، فأمتنع من لبسه تورعاً لما ورد في ذلك من النص الدال على التحريم، وأحضر له قميص مصمت غزلي وبقيار قصب بحري وأنعم عليه بألفي دينار، وفرس عربي وخلع على ولد له صغير ماتي دينار وأقذ إلى داره ما حملة اثنان وأربعون حملاً، ثم عملت دعوة عظيمة بلغت الغرامة عليها

عشرة آلاف دينار، ثم خلع على وكيله العدل عبد الوهاب بن المطهر وعلى ولده وعلى جميع الخدم والحاشية. وفيها، نقل تاج الدين علي بن الدوامي من ديوان عرض الجيش إلى صدرية ديوان أربل وخلع عليه وتوجه إليها. وفيها، ولي قطب الدين سنجر الناصري شحنة بغداد.

ووصل رسول من بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، ومعه تحف والطاق وكراع كثير، وسأل تزويج ابنته بمجاهد الدين أيبك الخاص المستنصري المعروف بالدويدار الصغير، فأحضر قاضي القضاة أبو المعالي عبد الرحمن بن مقبل وناباه عبد الرحمن بن عبد السلام بن اللمغاني وعبد الرحمن بن يحيى التكريتي، وحضر مجاهد الدين الديويدار ومعه جماعة كبيرة من خدم الخليفة وأصحاب الشراي وحاشية البدرية وجلس على يمين نصير الدين نائب الوزارة وخطب الخطيب أبو طالب الحسين بن المهدي بالله خطبة النكاح وتولى العقد القاضي ابن اللمغاني وكان وكيل بدر الدين لؤلؤ رسوله أمين الدين لؤلؤ، والصدوق مبلغه عشرون ألف دينار، وكتب كتاب الصدوق في ثوب اطلس أبيض، وعملت دعوة عظيمة، ثم فخص مجاهد الدين، وخلع نصير الدين على من باشر العقد من القضاة والشهود والخطيب والوكلاء، وفي هذا الأملك أنشد جماعة من الشعراء: منهم عبد الحميد بن أبي الحديد أنشد أبياتاً يقول فيها:

أهلاً بيوم حسن المنظر ... قد قرن الزهرة بالمشتري
لاسلباً ظل أمام الهدى ... شمس الوجود النير الأكبر

وفيها، عزل فخر الدين أبو طالب أحمد بن الدامغاني عن أشرف الديوان فلزم منزله.

وفيها، قتل رجل نصراني كان يسكن في درب الشاكرية، قتله غلام له وأظهر أنه قد سافر، فطال العهد بذلك، والغلام في داره يتصرف فيها على حسب إشارته، فارتيب به فأخذ وقرر بالضرب فاعترف بأنه قتله واقامه في بئر داره، فوقع الاقتصاص على تخليده السجن، لأن الغلام كان مسلماً عملاً بمذهب - الشافعي وأحمد - في ذلك.

وفيها، رتب الاوحد الكرمانى الصوفي شيخاً للصوفية برباط المرزبانية وخلع عليه واعطي بغلة ونفذ معه حاجب إلى هناك وهو شيخ حسن السميت، متكلم بلسان أهل الحقيقة وأرباب الطريقة قدم بغداد ونزل بجامع ابن المطلوب وكان الناس يقصلونه ويحضرون عنده من الفقراء والصوفية فأشتهر ذكره.

وفيها، عزل أمير الحاج قيران الظاهري عن أمانة الحاج خاصة، وولي عوضه الأمير حسام الدين أبو فراس بن جعفر بن أبي فراس وحج بالناس في هذه السنة.

وفيها، توفي الشيخ شهاب الدين أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله السهروردي الصوفي الواعظ ولد بسهرورد ونشأ بها وقدم بغداد واسوطنها وهو ابن أخي الشيخ أبي النجيب السهروردي، صحبة كثيراً وعنه أخذ علم الصوفية والوعظ ومعرفة الحقيقة والطريقة وصنف في شرح أحوال الصوفية كتاباً حسناً وتكلم في الوعظ باب بدر ومدرسة عمه أبي النجيب وتولى عدة ربط للصوفية، منها رباط الزوزني ورباط المأمونية وبنى له الخليفة الناصر لدين الله رباطاً بالمرزبانية على فخر عيسى وبنى إلى جنبه داراً واسعة وحماماً وبستاناً يسكنها بأهله ونفذه الخليفة رسولاً إلى عدة جهات وكان الملوك الذين يرد عليهم يبالغون في إكرامه وتعظيمه واحترامه اعتقاداً فيه وتبركاً، ودفن في الوردية في تربة عملت له هناك على جادة سور الظفرية، ومات عن اثنتين وتسعين سنة لم يخلف شيئاً من عروض الدنيا بعد أن حصل له منها الشيء الكثير فأخرجه جميعه لأنه كان كريم النفس وكان مهيب الشكل طيب الأخلاق كثير العبادة.

وتوفي، عبد السلام بن أبي عصرون التميمي الحلبي الفقيه الشافعي المفتي المدرس، من بيت مشهور بالعلم والقضاء والرئاسة والقدم عند الملوك بحلب، كان فاضلاً ذا أموال فائضة وعنده سعة نفس وكان يقول الشعر.

وتوفي، أبو سليمان داود بن يوسف بن أيوب بن شادي المعروف بالملك الزاهر صاحب البيرة.
وتوفي، أبو حفص عمر بن محمد بن أبي نصر الفرغاني الفقيه الحنفي شيخ صالح قدم بغداد وأقام بها مدة برباط
الزوزني المجاور لجامع المنصور، ثم انحدر إلى واسط وأقام عند بني الرفاعي، سائحاً معبداً وانتفع به بنو الرفاعي
واشتغلوا عليه ثم عاد إلى بغداد بعد سنين وأصعد إلى سنجار فأقام بها مدة يقرأ عليه في جامعها الفقه والأدب ثم عاد
إلى بغداد وأقام برباط العميد مدة ثم ندب إلى تدريس الطائفة الحنفية لما فتحت المدرسة المستنصرية، فلم ينزل بها إلى
أن مات قبل أن يدخل إليه الشيخ محمد بن الرفاعي فصبحه غلطاً وكان مساء فقال ارتجالاً:
أتاني مساء نور عيني ونزهتي ... فخرج عني كربتي وأزاحا
فصبحته عند المساء لأنه ... بطلعته رد المساء صباحاً

ذكر فتح المدرسة الشرقية الشرايية بواسط

وفي هذه السنة في سابع عشر شعبان، فتحت المدرسة التي أمر بإنشائها شرف الدين أبو الفضائل الشراب للشافعية
بالجانب الشرقي من واسط على دجلة مجاورة لجامع كان دائراً، فأمر بتجديد عمارته ورتب به مدرسا العدل أحمد
بن نجا الواسطي ورتب بها معيدان واثني عشرون فقيهاً وخلع على الجميع وعلى من تولى عمارتها من النواب
والصناع والحاشية الذين رتبوا لخدمتها وعمل فيها دعوة حسنة حضرها صاحب الديوان ابن الدباهي والناظر
بواسط والقاضي والنقيب والقراء والشعراء، وكان المتولي لعمارتها والذي جعل النظر إليه وإلى عقبه في وقفها أبو
حفص عمر بن أبي بكر بن أسحق الدروقي.

سنة ثلاث وثلاثين وستمائة

في الحرم، وصل الملك الناصر ناصر الدين داود بن الملك المعظم عيسى بن الملك العادل أبي بكر محمد بن أيوب إلى
بغداد واجتاز بالحلة السفيفة وبها الأمير شرف الدين علي بن جمال الدين قشتمر زعيم الحلة وفتلقاه بالاكرام والمد
والإقامات وعمل له دعوة عظيمة بلغ الخرج عليها زيادة على اثني عشر ألف دينار، ثم توجه إلى بغداد فخرج إلى
لقائه النقيب الطاهر قطب الدين أبو عبد الله الحسين بن الاقساسي وخادمان من خدم الخليفة وجميع الحجاب
والدعاة فدخل وقبل عتبة باب النوي ثم قصد دار الوزارة ولقي نصير الدين نائب الوزارة فاحترمه و بجله و خلع
عليه خلعة احضرت من المخزن وهي قباء أطلس وسريوش وقدم له فرس عربي بمركب وذهباً وأسكن في دار بمحلة
المقتدية تعرف بمعبد الموسوي، وسبب قدومه إلى بغداد أنه كان قد ملك دمشق بعد وفاة أبيه الملك المعظم بمعهد منه
له، فقصد عماه الكامل أبو المعالي محمد صاحب مصر يومئذ والاشراف أبو الفتح موسى ابنا العادل أبي بكر،
والاشرف حينئذ صاحب حران والرها وخالط وغير ذلك، ونزلا بعساكرها ظاهر دمشق محاصرين لها واقاما على
ذلك شهوراً وذلك في سنة ست وعشرين وستمائة فلما طال حصار البلد وضاق على أهله وكثر عبث العساكر
وفسادهم وتخريبهم نزل ناصر الدين على حكمهما وفتح لهما البلد وخلاه فلما تمكنا من البلد سيراه إلى الكرك في
جماعة من أصحابه فحضر لينهي حاله إلى الخليفة فوعده بأصلاح امره ثم أنفذ إليها في المعنى فأجابا إلى ذلك وسأل
ناصر الدين في مدة اقامته ببغداد أن يحضر المدرسة المستنصرية فأمر الخليفة بعمل دعوة واحضار فقهاء المدارس، ثم
حضر ناصر الدين فجلس على طرف ايوانها الشمالي ووقف مماليكه وأصحابه في ربيعي المالكية والحنفية، ووقف عند
كل طائفة حاجب وحضر قراء الديوان وقرئت الحتمات وأنشد جماعة من الفقهاء قصائد ثم قدم المشروب وبعده

أنواع الأطعمة فتناول ناصر الدين من ذلك بعد أن قبل الأرض مرارا فلما فرغوا من ذلك انصرف إلى داره. وفي ثامن عشر شعبان، تقدم إلى أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي بالجلوس في الرباط المجاور لمعروف الكرخي المقابل لتربة واقفته وحضر ناصر الدين، ولما انقضى المجلس مد سماط عظيم ثم خلع عليه في حادي عشرية في دار الوزارة وقدم له فرس عربي بمركب ذهباً ومشدة وأعطى علماً بمشاد وجفتاين، وخلع على جميع أصحابه وأتباعه ومماليكه وأعطى عدة رؤس من الخيل وثياباً كثيرة وخمسة وعشرين ألف دينار وخمسين جملاً وكراعاً كثيراً وآلات ومفارش وغير ذلك وتوجه إلى مستقره وقد اصلحت الحال بينه وبين عميه الكامل والاشرف. وفي سلخ ربيع الأول، وصل الأمير ركن الدين اسماعيل بن بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل إلى بغداد وخرج إلى لقائه النقيب الطاهر الحسين بن الاقساسي وخادمان من خدم الخليفة وموكب الديوان فلقبه بظاهر البلد ودخل معه إلى باب النوبي فقبل العتلة ودخل إلى نصير الدين نائب الوزارة فأكرمه وخلع عليه قباء أطلس وسربوش شاهي وقدم له فرساً بعدة كاملة وأسكن دار الأمير علي بن سنقر الطويل بدر فرائشا وأسكن الأمراء الذين كانوا صحبته في دور، وبعد أيام قصد زيارة أخته زوجة الأمير علاء الدين أبي شجاع الطبرسي الدويدار فعمل له دعوة جميلة عمت جميع أصحابه وخلع عليه وأعطاه أحد عشر رأساً من الخيل العربيات وعشر جون فيها من أنواع الثياب وخمسة آلاف دينار وخلع على جميع أصحابه واتباعه ومماليكه. وفي سابع عشر ربيع الآخر، حضر بالبدرية عند شرف الدين أقبال الشراي فخلع عليه وعلى جميع أصحابه ووصله بذهب كثير وخيل وتحف وهدايا.

وفي العشرين من الشهر، حضر في دار نصر الدين نائب الوزارة فخلع عليه وقلد سيفاً وأمطي فرساً بعدة كاملة وخلع على جميع أصحابه وأنعم عليه بقدر صالح من العين برسم نفقة الطريق ثم توجه مصعداً في ثامن عشر الشهر، وفي مدة مقامه ببغداد عملت له دعوة في رباط الخلاطية فحضر هناك وتفرج في الرباط، ثم عملت له دعوة أخرى في رباط والده الخليفة الناصر لدين الله، ثم عملت له دعوة أخرى في المدرسة للمستنصرية فحضر وجلس على أيوانها وقرأ وذكر المدرسون الدروس ثم طيف به في رواقها. وفيها، عزل علي بن غزاة المدائني عن النظر بواسط وولي عوضه علي بن الشاطر الانباري وولي الأمير بكتين الناصري شحنكيته.

وفيها، وصل الفقيه عبد الله بن عبد الرحمن بن عمر المغربي الأصل الشرمساحي المولد الاسكندراني المنشأ والدار، إلى بغداد ومعه أهله وولده وجماعة من الفقهاء فلقني بالقبول من الديوان ثم أحضر دار الوزارة واحضر جميع المدرسين فذكر مسألة تفرع منها عدة مسائل على مذهب الإمام مالك بن أنس وبجنت الجماعة معه واستجادوا كلامه فخلع عليه وأمطي بغلة بعدة كاملة أسوة بالمدرسين بالمدرسة المستنصرية وتقدم بحضور أرباب الدولة والمدرسين بسائر المدارس والفقهاء فحضروا، فخطب خطبة بليغة وذكر اثني عشر درساً وختمها بدرس من الوعظ وأعربت دروسه عن فضل ظاهر وجعل له في كل رجب مائة دينار وخلع على أخيه وجعل معيداً لدرسه ثم خلع على الفقهاء الذين وصلوا صحبته وأتبعوا، وفي ربيع الآخر نقل القاضي فخر الدين أبو سعيد المبارك بن المخرمي من وكالة باب طراد، ونظره بدار التشریفات إلى صدرية المخزن، وخلع عليه وأعطى مركوباً بعدة كاملة وأنعم عليه بألف دينار وأسكن في الدار المنسوبة إلى الوزير عبيد الله بن يونس المجاورة للديوان ورتب علي بن غزاة المدائني مشرفاً عليه ورتب هبة الله بن خليل كاتباً معه، وخلع عليهما، ثم نقل فخر الدين بن المخرمي إلى صدرية ديوان الزمام، ونقل ابن غزاة إلى الأشرف عليه، وخلع عليهما وأنهدراً إلى واسط.

واستتاب نصير الدين بن الناقد نائب الوزارة اخاه أبا الفضل في الدكالة.
وفيها، ولي الأمير سراج الدين سرايه الناصري شحكية البصرة.
وفيها تكامل بناء الايوان الذي انشئء مقابل للمدرسة المستصيرية وعمل تحته صفة يجلس فيها الطبيب وعنده جماعته
الذين يشتغلون عليه بعلم الطب ويقصده المرضى فيداويهم وبني في حائط هذه الصفة دائرة وصور فيها صورة
الفلك وجعل فيها طاقات لطاف لها أبواب لطيفة، وفي الدائرة بأزان من ذهب في طاستين من ذهب ووراءهما
بندقتان من شبه لايدر كهما الناظر فعند مضي كل ساعة ينفتح فما البازين ويقع منهما البندقتان وكلما سقطت
بندقة انفتح باب من أبواب تلك الطاقات والباب من ذهب فيصير حيثئذ مفضفضاً، وإذا وقعت البندقتان في
الطاستين تذهبان إلى مواضعهما، ثم تطلع أقمار من ذهب في سماء لازوردية في ذلك الفلك مع طلوع الشمس
الحقيقية وتدور مع دوراتها وتغيب مع غيوبتها فإذا جاء الليل فهناك أقمار طالعة من ضوء خلفها كلما تكاملت
ساعة تكامل ذلك الضوء في دائرة القمر ثم يتبدىء في الدائرة الأخرى إلى اقضاء الليل وطلوع الشمس فيعلم
بذلك أوقات الصلاة، ونظم الشعراء في ذلك اشعاراً: منها قول أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي. من أبيات مدح
بها الخليفة.

يا أيها المنصور يا مالكا ... برأيه صعب الليالي يهون

شيدت لله ورضوانه ... أشرف ببيان يروق العيون

أيوان حسن وضعه مدهش ... يحار في منظره الناظرون

صور فيه فلك دائر والش ... مس تجري ما لها من سكون

دائرة من لازورد حكت ... نقطة تبر فيه سرمصون

فتلك في الشكل وهذي معا ... كمال هاء ركبت وسط نون

وفيها، حضر عند قاضي القضاة أبي المعالي عبد الرحمن بن مقبل الواسطي حاجب الديوان وشافهه بالعزل عن
القضاء وتدریس المدرسة المستصيرية وأمره بالانتقال من الدار التي سكنها القضاة، وولي عوضه أبو الفضل عبد
الرحمن بن عبد السلام بن اللمغاني أفضى القضاة.

وفيها عاد تاج الدين أبو الفتوح علي بن الدوامي من أربل مفارقاً للخدمة بها، وقد تقدم ذكر أصداده إليها متولياً
لأعمالها وصدراً لديوانها، فلما نقل فخر الدين أبو سعيد المبارك بن المخرمي من صدرية المخزن إلى صدرية ديوان
الزمام رتب تاج الدين في صدرية المخزن وخلع عليه وقلد سيفاً وأمطى فرساً.

وفيها، وصلت الأخبار من أربل أن عساكر المغول اجتازوا بما قاصدين الموصل فحاربهم عسكر أربل وقتل من
الفريقين وجرح جماعة ثم انفصلوا قاصدين أعمال الموصل فعاثوا بها أشد العبث وقتلوا ونهبوا وأسروا، فأمر الخليفة
بتجهيز العساكر والتوجه إلى تلك الجهة واستنفار الأعراب من البوادي والرجالة من جميع الأعمال فلما حضروا
فرقت عليهم الأموال والسلاح وجعل مقدم العساكر الأمير جمال الدين قشتمر وتوجهوا، فلما وصلوا دريند،
بلغهم أن المغول قد عادوا راجعين إلى بلادهم فرجع حينئذ قشتمر والعسكر إلى بغداد.

وفيها، صرف محمد بن الغنم من الوكالة ورتب عوضه ابن الطبال الدلال وظهرت منه نجابة ومعرفة وجلادة تامة.
وفيها، توفي أبو عبد الله بن حمد بن المرشد شيخ من أهل - المرية - قرية من أعمال البصرة، يعرف الفقه علي
مذهب الشافعي تولى قضاء واسط سنين عدة في الأيام الناصرية وولي الاشراف بديوان واسط وعزل في الأيام
المستصيرية وكان عنده دعابة ومزح وكيس وتواضع، قدم بغداد بعد عزله وهو شيخ طوال قليل البصر وقصد يوماً

كمال الدين عبد الرحيم ابن ياسين فطرق الباب فقال من بالباب فقال ثلاثة عميان فأذن له فلما دخل رآه وحده فاستفسره عما قال فقال أنا الثلاثة العميان، لأني غريب والغريب كما يقال أعمي، وطالب حاجة وطالب الحاجة أعمي لا يرى إلا قضاءها، والعمى الحقيقي فمشاهد، وكان أب ياسين ضعيف النظر جداً فقال له ياسيدي صرنا أربعة، كانت وفاته في المرية، وقد أضر وعمره ثمانون سنة.

وتوفي جمال الدين أبو الحسن عبد الله بن الناقد أخو نصير الدين نائب الوزارة، رتب أولاً حاجبا بالديوان ثم نقل إلى حجة المخزن ثم ولي صدرية المخزن وكان على ذلك إلى أن توفي، صعد ليلة إلى غرفة داره فعرض له فالج فلم يتمكن من النزول فبقي على تلك أياماً ومات في صفر.

وتوفي، بعد أخوه نور الدين أبو الفضل يحيى، كان أحد الحجاب بالديوان وناب عن أخيه نصير الدين نائب الوزارة في الوكالة في هذه السنة وتوفي في ذي الحجة.

وفيهما، توفي أبو صالح نصر بن أبي بكر بن عبد الرزاق بن أبي محمد عبد القادر الجيلي الفقيه الحنبلي الواعظ، شيخ وقته ومقدم مذهبه من بيت العلم والصلاح، سمع الحديث ورواه وتفقه على أبيه وعلى الشيخ النوقاني الشافعي وتكلم في مسائل الخلاف ودرس في مدرسة جده بباب الأزج والمدرسة الشاطبية بباب الشعر وتكلم في الوعظ وشهد عند قاضي القضاة ابن الدامغاني وقلد قضاء القضاة في خلافة الظاهر بأمر الله ولم يقلد قضاء القضاة حنبلي سواه فسار سيرة حسنة من فتح بابه ورفع حجابيه والجلوس للناس عموماً والآذان على بابه والصلاة بالجماعة والخروج إلى صلاة الجمعة راجلاً ولبس القطن وتجنب لبس الأبريسم، ثم عزل في سنة ثلاث وعشرين، فانتقل إلى مدرسته وجلس على عادته بذكر الدروس ويفتي الناس، ولما تكامل بناء الرباط المستجد بدير الروم، جعل شيخاً على من به من الصوفية فلم يزم على ذلك إلى أن توفي، ودفن في دكة الإمام أحمد رضي الله عنه فأنكر الخليفة ذلك وأمر بتحويله فحول ليلاً ودفن قريباً منه، خارجاً عن تربته ولما عزل عن القضاء قال أبياتاً أولها:

حمدت الله عز وجل لما ... قضائي بالخلاص من القضاء

وفيهما، توفي أبو منصور معلى بن الدباهي الفخري من قرية تعرف - بالفخرية - من أعمال نهر عيسى من أهل بيت ذوي رئاسة وتناية، ومعلى هذا رتب ناظراً بدجيل، ثم بنهر عيسى، ثم نقل إلى صدرية المخزن، ثم نقل إلى صدرية ديوان الزمام، فكان على ذلك إلى أن أمر بملاحظة أربل وأعمالها، فتوجه إليها في هذه السنة فتوفي بأربل ودفن بها. ورحب بالناس في هذه السنة، الأمير أبو فراس بن جعفر بن أبي فراس.

وفيهما، توفي عز الدين ابن الأثير الجزري صاحب الكامل في التاريخ بالموصل.

سنة أربع وثلاثين وستمائة

في خامس صفر، وصل إلى بغداد نور الدين أرسلان شاه بن عماد الدين زنكي صاحب شهر زور فخرج موكب الديوان إلى لقائه وفي صدره عارض الجيوش أبو الحسن علي بن المختار وخادمان من خدم الخليفة، فلقبه بظاهر السور ودخل معه وقصد باب النوي وقيل العتبة ثم دخل إلى نصير الدين بن الناقد نائب الوزارة فرفع قدره وخلع عليه ثم خرج ومضى إلى دار عينت له بمحلة المقتدية منسوبة إلى النقيب الطاهر معد الموسوي وأسكن أصحابه في دور مجاور لها، وكان جميل الصورة ظريف الشكل لطيف القد، واستدعي في حادي عشر الشهر إلى البدرية فحضر عند شرف الدين أقبال الشراي فشرفه بلباس القنطرة نيابة ووكالة عن الخليفة وخلع عليه، وفي رابع عشرية، عمل له دعوة بالمدرسة المستنصرية وحضر إليها وجلس على طرف أيوبها الصغير وفرقت الربعات وقرئت الختمات وذكر

المدرسون بما الدروس ثم نهض فدخل دار كتبها فجلس بها ساعة، ثم خرج متوجهاً إلى داره، واستدعي في خامس عشري الشهر إلى دار الوزارة وخلع عليه وقلد سيفاً وحمل على فرس بمركب ذهباً وعدة كاملة وأعطى خمسة أحمال كوساة ونقارات وما يناسب ذلك من الأعلام وغيرها وأنعم عليه بخمسة آلاف دينار، وأذن له في العودة إلى بلده فتوجه في ذلك اليوم.

في ربيع الأول، ختم الأمير أبو القاسم عبد العزيز ولد الخليفة المستنصر بالله القرآن المجيد، على مؤدبه العدل أبي المظفر علي بن النيار وجرت الحال في الدعوة وخلع على ما تقدم شرحه في ختمة أخيه. وفيه، عزل تاج الدين علي بن الدوامي عن صدرية المخزن مراسلة بحاجب وكان في عقايل مرض ورتب عوضه أبو فضلة هاشم بن علي بن الأمير السيد العلوك ثم ولي تاج الدين في شهر رجب حجابة باب النوبي وأمر الشرطة. وفيها، قصد جماعة عيادة مريض وهو على سطح دارة فقعدوا عنده ساعة فوقع السقف ووقعوا كلهم فماتوا جميعهم إلا المريض.

كم من مريض قد تحاماه الردى ... ففجا ومات طبيبه والعود
وفيها، وصل أمير الحاج أبو فراس ابن أبي فراس ومعه العرب الأجاودة الذين تعرضوا لأذية الحاج ومنعواهم الحج في سنة اثنتين وثلاثين وستمئة وكل منهم قد كشف رأسه وجعل على عنقه كفته وبيده سيفه ومعهم نساؤهم وأولادهم فقصوا باب النوبي وقبلوا الأرض ورمى النساء براقعهن وضججن بالبكاء والتضرع فعرفوا قول توبتهم والعفو عنهم وأنعم عليهم باكسوات وغيرها وعادوا إلى أماكنهم.

وفيها، حضر عبد الله الشرماساحي مدرس المالكية بالمدرسة المستنصرية بالبدرية عند شرف الدين أقبال الشراي وأنعم عليه بلباس الفتوة نيابة ووكالة عن الخليفة.

وفي هذه السنة، قصد ملك الروم مدينة آمد وحصرها وضيق على أهلها وجرى بين العسكرين قتال وقتل من الفريقين خلق كثير وقتل الأقوات وتعذرت على أهل البلد فأرسل صاحبها إلى الخليفة يعرفه ذلك ويسأله مراسلة ملك الروم في الكف عنه فأمر الخليفة باقتاد أبي محمد بن الجوزي فتوجه نحوه، وقال: لما وصلت إليه وجدت عساكره قد أحاطت بمدينة آمد وأهل البلد في ضر عظيم فعرضت عليه مكتوب الديوان فذكر أن أولئك هم الذين ابتدأوا وقتلوا أصحابه، قال: فأخرج بخط الخليفة بقلمه وتلوت قوله تعالى (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب) وقبلته وسلمته إليه فقام ووضع على عينه ورأسه وقرأه وأمر في الحال بالكف عن القتال والرحيل عن البلد.

وفيها، أمر الخليفة بعمل مزملة بالقرب من قبر أحمل بن حبل رضي الله عنه لاجل الزوار الواردين فلما تكامل بناؤها فتحت وجعل فيها الحجاب وملئت من الجلاب، ورتب فيها قيم يقوم بمصالحها ونظم الشعراء في ذلك قصائد منها: ما قاله جعفر بن مهدوية الكاتب من قصيدة يمدح بها الخليفة:

وقبر أحمد قد طرزت حليته ... بحلية زينت منه مبانیه

ثم أتخذت لنا فيه مزملة ... ندل أنك يوم الحوض ساقية

فاسلم فدتك الرعايا يا أمام هدى ... تهدي إلى الحق من قد ضل في البته

وفيها، قلد أفضى القضاة عبد الرحمن بن المغاني علي بن البصري قاضي دجيل قضاء واسط وأعمالها.

وفيها، وصل الأمير عز الدين قيصر الظاهري مخبراً بوصول ابنة بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، وكان قد نفذ لاحضارها لنزف على زوجها مجاهد الدين أبيك المستنصري المعروف بالدويدار الصغير فخرج إلى تلقيها بدر

الظاهري المعروف بالشحنة أحد خدم الخليفة وفي صحبته ثلاثون خادماً والأمير بدر الدين سنقر جاه أمير آخور الخليفة وجماعة من المماليك والحاجب، أبو جعفر أخو استاذ الدار ومؤيد الدين محمد بن العلقمي فتلقاها بدر الشحنة في المرفة وعادوا الجماعة معه وانحدرت هي في شبارة، حملت لها إلى هناك في جماعة من خدمها وجواريتها وصعدت في باب البشرى ليلاً، وقد أعد لها بلغة فركبت واجتازت بدار الخلافة وخرجت من باب النوي إلى دار زوجها مجاهد الدين - بدرب الدواب - وهي الدار المنسوبة إلى أحمد بن القمي فنشر عليها خادم لزوجها ألف دينار عند دخولها الدار.

وفي رابع جمادي الآخرة، خلع الخليفة علي مجاهد الدين بين يديه وقدم له مركوب بعدة كاملة فخرج وقيل حافلة وركب من باب الأتراك ورفع وراءه أربعة عشر سيفاً إلى غير ذلك من الحراب والنشاب وأشهرت السيوف من باب دار الضرب وخرج معه جماعة من خدم الخليفة والحاجب أبو جعفر بن العلقمي أخو استاذ الدار ومهتر الفراشين وحاجب ديوان الأبنية وغيرهم، وتوجه إلى داره فلما اجتاز بباب البدرية، نشر عليه خادم من خدم الشراي أربعة آلاف دينار ولما اجتاز بدرب الدواب، نشر عليه في عدة مواضع من دار الأمير جمال الدين قشتمر ودار ابنته زوجة الأمير نصرة الدين كنج أرسلان، وكان ورائه الاعلام والطبول والكوسات.

في عشية هذا اليوم، نفذ له أحد عشر طبلًا، للخلق وأحد عشر قصعه وزوج صنج برسم طبل التوبة في الصلوات الثلاث، وزفت عليه زوجته فاجتمع له فرحان فرح الإمارة وفرح العرس ولم يبلغ أحد من أبناء جنسه مع حداثة سنة ما بلغ ومن الغد عرضت عليه الهدايا من رقيق الترك والخدم والحبوش وأنواع الثياب والطيب والخيل وآلة الحرب وغير ذلك، من جميع الزعماء وأرباب الدولة وخدم الخليفة وسائر المماليك، ثم الوزير والشراي واستاذ الدار والديودار الكبير، ولم ينفذ له أحد شيئاً إلا وخلع على المنفذ على يده، ثم ركب وبين يديه الأمراء والمماليك ورفع وراءه السلاح وقيدت بين يديه الخيل المجنونة وشهرت حوله السيوف وسعى السكيانية وأيديهم الحرب والاطبار، والجاوشية بأيديهم الجوالكين الذهب والقصة وقصد دار الخلافة فخدم وعاد، ثم ركب عشية هذا اليوم وقصد دار الخليفة فخدم، وخرج وقت عشاء الآخرة في الأضواء والشموع واستمر دخوله إلى دار الخليفة في كل يوم بكرة وعشية على هذا الوضع.

وفي عاشر الشهر، خلع على أخواته أي الحسن علي بن المختار العلوي وعلي وكيله ماري بن صاعد بن توما النصراني وعلي نواب ديوانه وجميع الأمراء الذين أضيفوا إليه أيضاً ثم على أتباعه وحواشيه وغللمان البلدرية ومقدمها، وبوابي دار الخلافة الذين جوازه عليهم ولم يزل مقيماً في هذه الدار إلى أن تكاملت عمارة الدار المنسوبة إلى علاء الدين تماش على دجلة وما أضيف إليها مما جاورها فانتقل إليها في ذي القعدة من السنة، وأنعم الخليفة عليه باصطبله المقابل لها على دجلة.

وفيها، أستحجب عبد الرحمن بن يحيى بن المخرمي أخو صاحب الديوان وجعل أسوة بحجاب المناطق. وفيها، قصد الخليفة مشهد موسى بن جعفر عليه السلام في ثالث رجب فلما عاد أبرز ثلاثة آلاف دينار إلى أبي عبد الله الحسين بن الاقساسى تقيب الطالبين وأمره أن يفرقها على العلويين المقيمين في مشهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والحسين وموسى بن جعفر عليهم السلام.

وفي رجب، أعيد فخر الدين أبو طالب أحمد بن الدماغاني إلى أشرف المخزن وخلع عليه. وفيها، وصل بشر خادم الأمير ركن الدين اسماعيل بن بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل وقران من رماة البندق ومعهم طائر قد صرعه ركن الدين وانتسب ذلك إلى شرف الدين أقبال الشراي فقبله وأمر بتعليقه فعلق تجاه باب

البدرية وأن ينثر عليه ألفا دينار، ثم خلع على الخادم والواصلين صحبته وأعطاهم ثلاثمائة ألف دينار. وفيها، توفي محمد بن عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن العجمي وهو من بيت رئاسة... قديمة.. وله شعر حسن فمنه: سقى الله ذا العيش غض والحبيب قريب لح في رياضه ويدعوننا داعي..

وفيها، توفي الملك العزيز محمد بن غازي بن يوسف بن أيوب ابن شادي صاحب حلب، كان قد توفي أبوه الملك الظاهر غازي وهو طفل فعهد إليه وجعل أتاكبه ومربيه والقائم بأمره وتدبير دولته خادماً اسمه طغرل ولقبه شهاب الدين فقام بتربيته وبالغ في حراسة دولته وأحسن السيرة في الرعية إلى أن كبر وصار من أحسن الشباب صورة فاختر منه المنية في عنفوان شبابه وقد جاوز عشرين سنة من عمره وخلف ولداً صغيراً فعهد إليه، ومن العجب أن الملك الظاهر غازي لما مرض أرسل إلى عمه العادل أبي بكر محمد صاحب مصر والشام رسلاً يطلب منه أن يحلف لولده محمد هذا فقال العادل: سبحان الله أي حاجة إلى هذه اليمين؟ الملك الظاهر مثل بعض أولادي. فقال الرسول: قد طلب هذا ولا بأس باجابته فقال العادل: كم من كبش في المرعى وخروف عند القصاب. وحلف له فتوفي الظاهر والرسول عند العادل ولم تطل أيام الملك عبد العزيز محمد.

وفيها، توفيت ست شمائل وأسمها شجرة الدر التركية، كانت حظية الخليفة الناصر لدين الله مقربة إليه وكانت تكتب خطاً جيداً وكانت تقرأ له المطالعات الواردة عليه لما تغير نظره ويملي عليها الأجوبة، ودفنت في تربة الخلاطية.

وفيها، توفي الملك كيقبازين كيخسرو بن قلع أرسلان بن مسعود بن قلع أرسلان السلجوقي صاحب قونية وأقصري وسيواس وغير ذلك من بلاد الروم، وملك بعده أخوه كيكوس وكان كيقباذ أول مالك كيكوس فلما مرض أحضره وا... بأولاده.

ذكر حصر أربل

في سابع عشر شوال، وصل الخبر من أربل على جناح طائر بنزول عساكر المغول على أربل والأحاطة بها وتحصن أهل البلد بغلق الأبواب وصعود القلعة وأمر شمس الدين أصلان تكين الناصري بالتوجه إلى هناك جريدة ونفذ معه ثلاثة آلاف فارس بغير ثقل فتوجهوا في العشرين من الشهر وتوجه بعدهم الأمير مجاهد الدين أيبك الدويدار في جماعة من مماليكه جريدة ونفذ صحبته ابن كر الأربلي ثم خرج شرف الدين الشراب ومعه جماعة من الأمراء والمماليك وتوجه أيضاً نحوهم. وأحضر نصير الدين نائب الوزارة المدرسين والفقهاء واستفتاهم: إذا اتفق الجهاد والحج أيهما أولى؟ وأفتوا بأن الجهاد أولى، فأبطل الحج في هذه السنة، وأمر المدرسين والفقهاء ومشايخ الربط والصفوية برمي الشباب والاستعداد للجهاد وولي الأمير أيدمر الأشقر الناصري شحنة بغداد ووقع الاستظهار بنصب المناجيق على سور بغداد وأصلح الخندق، وأما المغول فأهملوا نزلوا على أربل وحصروها ونصبوا المناجيق عليها، وقصدوا جهة من السور فهدموا جهة من السور فهدموا منه قطعة كبيرة ودخلوا البلد عنوة وقهراً فتحصن أهله ومعظم العسكر بالقلعة وقاتلوهم أشد قتال، وأمد المغول بدر الدين صاحب الموصل بما يحتاجون إليه من ميرة وآلة وغيرها، وأعوز أهل قلعة أربل الماء، فتلف منهم ألوف كثيرة بالعطش ولم يمكن دفنهم لضيقه الموضع ولا القاءهم لتلايسلوا الخندق فأحرقوا بالنار، ثم عاثوا في البلد أشد العيث نهباً وأسراً وأحراقاً وتخريباً، ثم اهتموا بالقلعة وجدوا في نصب المناجيق عليها فبلغهم وصول عساكر الخليفة فرحلوا راجعين إلى بلادهم في سادس ذي

الحجة فورد الخبر بذلك إلى الشرايبي فرجع والعساكر والأمراء في خلمته إلى بغداد فدخلها في ثالث عشر المحرم سنة خمس وثلاثين.

سنة خمس وثلاثين وستمائة

وفي المحرم، عزل علاء الدين هاشم بن الأمير السيد من صدرية المخزن ورتب عوضه فخر الدين محمد بن أبي عيسى نقلا من صدرية دجيل.

وفيها، حضر أسد الدين شير كوه صاحب حمص عائلة وأخذها صلحاً ورتب بها نائباً.

وفيها، ولي أقصى القضاة عبد الرحمن بن اللمغاني تدريس الطائفة الحنفية بالمدرسة المستنصرية عوضاً عن ابن الانصاري الحلبي فإنه سأل الأذن في العود إلى بلده بأهله وأولاده فأذن له، وكانت مدة تدريسه بالمدرسة المذكورة أحدًا وعشرون شهراً.

وفيها، في تشرين الأول جاء رعد هائل وبرق عظيم ووقعت صواعق كثيرة: منها صاعقة أصابت أنساناً بظاهر سور سوق السلطان قريباً من سوق الخيل كان على بغل فأحرقت بعض صدره ونصف البغل فوقعا ميتين ووقعت صاعقة أخرى في دار يهودي بخربة ابن جرودة، وأخرى على نخلات يباب محول فأحرقتها، كل ذلك في ساعة واحدة، ووقعت صاعقة أخرى في شباط على الرواق بالمدرسة المستنصرية فشعثت منه موضعاً.

وفيها، رد أمر حجر البيع إلى تاج الدين علي بن الدرامي حاجب باب النوبي يومئذ، وعين الأمير شمس الدين أصلان تكين زعيماً ببلاد خوزستان، عوضاً عن الأمير علاء الدين ايلدكز المعروف بطاز، وكانت مدة ولايته ثلاث سنين وخمسة أشهر.

وعزل، منصور بن عباس عن صدرية لديوان المفرد بنهر الملك ونهر عيسى وهيت، ورد أمرها إلى صاحب الديوان فخر الدين أبي سعيد المبارك بن المحرمي.

وفي ربيع الآخر، تقدم إلى المدرسين والفقهاء ومشايخ الربط والصوفية وأرباب الدولة من الصلور والأمراء بحضور جامع القصر لأجل الصلاة على ابنة بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل زوجة الأمير علاء الدين الطبرسي اللويدار الكبير وصلي عليها في القبلة وشيع الكل جنازتها، إلى المشهد الكاظمي ودفنت إلى جانب ولدها في الأيوان المقابل للمدخل إلى مصف الحضرة المقدسة في ضريح مفرد، قيل أنها كانت نفساء، عن نيف وعشرين سنة ومدة مقامها في بغداد عشر سنين، وعمل العزاء في دار الأمير علاء الدين وحضر التقيب الظاهر الحسين بن الاقاسمي وموكب الديوان وأقامه من العزاء، ونفذ المحتسب أبو القرح عبد الرحمن بن الجوزي إلى بدر الدين لؤلؤ ليقيمه من العزاء. وفي جمادي الأولى، عقد العقد في دار الوزارة على ابنة سليمان شاه بن برجم بمظفر الدين محمد بن الأمير جمال الدين قشتمر، وأحضر أقصى القضاة عبد الرحمن بن اللمغاني ونوابه وكان مبلغ الصداق ألف دينار.

فيها، كثر شغب العوام ببغداد وقتل جماعة من الناس في عدة أماكن فولي عماد الدين طغرل الناصري شحنية ببغداد فسكن الناس.

وفيها، دخل دار الوزارة مملوك من ممالك الخليفة وهي مغتصبة بالزحام لاجل السلام فقصد صفة المسند وأطبق دواة الوزير فانزعج الحاضرون ولم يشكوا أنه مأمور، وذلك عنوان العزل وتطالت الأعناق إلى ما وراء ما فعل، فبدأ منه مايدل على تغير عقله، فقام إليه أحد الحجاب ودبه بيده وأترله من الصفة، وعرف الوزير هذه الصورة، فأهمل ذلك

إلى الخليفة، فتقدم بهلاك المملوك فشفع الوزير فيه، ووقع الاقتصار على حبسه بالمارستان أسوة بالجنانين. وفيها، اتصل مؤيد الدين أبو طالب محمد بن العلقمي وولده عز الدين أبو الفضل أحمد بابتي الوزير مؤيد الدين محمد بن محمد القمي وكان الاجتماع بهما في شعبان وكان قد أفرج عنهما وردت عليهما أملاكهما وما اجتمع من اجرتهما وهو سبعة آلاف دينار في صفر من السنة. وفي شعبان، رتب شمس الدين عبد العزيز بن محمد بن خليد مشرفاً بدار النشريفات نقلاً من الكتابة بها، ورتب مجد الدين علي ابن أبي الميامن بن أمسينا الواسطي كاتباً بها، وقلد العدل الخطيب أبو طالب الحسين بن أحمد بن المهتدي بالله نقابة العباسيين.

وفي آخر شعبان، انتهى من عمارة باب جامع القصر مما يلي الرحبة وفتح، وفتحت المزملة التي عملت بالجامع المذكور أيضاً.

وفيه، هُض على بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل نفران من الباطنية ليقنتلاه فجرحه أحدهما في يده فقبضا وقتلوا وأخذ في التحرز بعد ذلك والاستتار.

وفيها، نقل العدل أبو طالب أحمد بن الدامغاني من أشرف المخزن إلى ديوان عرض الجيش المخصص بالغرباء، وتفرد أبو علي الحسن بن المختار العلوي بديوان عرض العساكر البغدادية فصار حينئذ للجيش عارضان، وكان قد جعل لديوان المجلس حاجبان فقبل في ذلك:

هذه دولة حوت كل حسن ... وجهها مشرق بديع المعاني

فلها حاجبان زيدا جمالا ... ولها من جمالها عارضان

وفيه، علق طائر بباب بدر، قيل أنه رماه كيخسرو بن كقباذ ملك الروم ونثر عليه ألف دينار، تولى ذلك عبد الله بن المختار.

وفيها، توفي شمس الدين التمش بن قطب الدين أيبك مملوك شهاب الدين محمد بن سام الغوري ملك الهند، وملك بعده ولده ركن الدين فيروز شاه فلم يستقم له الأمر، وتفرق عنه العسكر فقبضت عليه اخته وملكته بعده وأطاعها الجند والرعية وتلقبت - رضية الدنيا والدين - واستقام لها الأمر.

وفيها، توفي الأمير شرف الدين علي بن الأمير جمال الدين قشتمر، امه ايران خاتون ابنة أبي طاهر ملك المر، كان قد مرض وشفى وركب وخلع على الطيب، فلما نزل، عرض له ألم في فؤاده واعقال طبع، فمات وكان شاباً جميلاً كريماً شجاعاً، قد أمر وأضيف إليه عدة من الممالك ورفع وراءه سيفان وتوفر اقطاعه، فاخترته المنية في عنفوان شبابه، ودفن عند والدته بمشهد الحسين عليه السلام، واستدعي جمال الدين قشتمر إلى دار الوزارة، ومعه ولده مظفر الدين محمد وولده شرف الدين علي المتوفي، وهو فخر الدين مغدي فخلع على مظفر الدين وجعل أميراً على مائة فارس وعمره يومئذ ثلاث عشرة سنة، وخلع على فخر الدين مغدي وجعل أميراً على عدة خمسين فارساً، وعمره يومئذ خمس سنين، ثم خلع على الأمير جمال الدين قشتمر، كل ذلك جبراً لقلبه، من فجعته بولده.

وفيها، توفي الملك الاشرف أبو الفتح موسى بن الملك العادل أبي بكر محمد بن أيوب بن شادي صاحب دمشق، ملك بعد وفاة أبيه ديار الجزيرة وميا فارقين وخلاط، واستقر ملكه بها، ثم ملك سنجار صلحا، وقصد بلاد الموصل وسار يريد أربل، فراسله الخليفة الناصر لدين الله بالرجوع عنها والصلح، فأجاب إلى ذلك على أن يخطب له ويضرب الدينار باسمه، فأجاب مظفر الدين كوكبري إلى ذلك، فلما عاد إلى حران، راسل الخليفة يسأل تشريفه بالفتوة فنفذ إليه من فتاه بطريق الوكالة، وكان عنده أدب وفضل مع ظرافة ولطافة وكرم فائض، وكان متعففاً عن

أموال الرعية منعكفاً على ملاذة، مشتهراً بحب الغلمان الأتراك والميل إليهم، مستهتراً بهم وله فيهم أشعار كثيرة، ليست بالجيدة: فما قاله في غلام تركي كان على خزانته:
أفدي قمراً تحار فيه الصفة ... يسخو بدمي وهو أمين ثقة
ماذا عجب بحفظ مالي ويرى ... روعي تلفت به ولا يلتفت
وكانت وفاته بدمشق في الحرم، وقد جاوز الستين سنة من عمره واستولى أخوه الملك الصالح اسماعيل على دمشق بعده.

وفيها، توفي ظهير الدين الحسن بن علي بن عبد الله من أعيان المتصرفين خدم أولاً خواجة الأمير علاء الدين تتامش، ثم تولى عرض ديوان الجيش ثم عين عليه في وزارة بلاد خوزستان، ثم عزل واعتقل هناك في سنة ست وعشرين، فكان على ذلك إلى أن توفي الخليفة الناصر لدين الله فأفرج عنه ووصل إلى بغداد فولي صدرية ديوان عرض الجيش ثم نقل إلى صدرية ديوان أربل فكان بها، ثم سأل أن يعفى من الخدمة بما فأعفي، ثم أعيد إلى بلاد خوزستان فكان بها إلى أن مات.

وفيها، توفي الملك الكامل أبو المعالي محمد بن الملك العادل أبي بكر محمد بن أيوب بن شادي صاحب مصر والشام، وكان فاضلاً أديباً متفقيها وسمع الحديث ورواه وكان معظماً لأهل العلم محباً لهم يحضرهم مجلسه في كل اسبوع ويحثون عنده ويتناظرون ويتكلم معهم، ويشركهم في بحثهم ويلزم معهم أدب المناظرة ويخاطبهم أحسن خطاب، وله شعر جيد، منه: ما كتبه إلى أخيه الاشراف حيث كان على دمياط:
يامسغي أن كنت حقاً مسعفي ... فأرحل بغير تغند وتوقف
واطو المنازل والديار ولا تنخ ... إلا على باب المليك الاشراف
قبل يديه لا عدمت وقل له ... عني بحسن تعطف وتلطف:
أن تأت صنوك عن قريب تلقه ... ما بين حد مهند ومتقف
أو تبط عن أنجاده فلقاؤه ... يوم القيامة في عراض الموقف

ولما توفي أبوه، حذا حذوه في التيقظ والحراسة وحسن التدبير وسياسة الملك، فأخذ اليمن ومكة وتغلبا، ونفذ إليها ولده الملك المسعود بالمظفر يوسف، ولما أخذ الفرنج دمياط وملكوها، جرد عزما ماضياً، وخرج بنفسه وجمع العساكر، وانتقل بهم وبجميع أهل البلد وبنى مدينة مستأنفة وبنى بها جامعا ومدارس وأربطة وحمات وخانات، ونقل إليها الناس على اختلافهم، ولم يزل محاصراً لها مضيقاتاً على من بها حتى أخذها، وقبض على الفرنج وأخذهم أسرى ودخل القاهرة وهم بين يديه، ثم من على من أسرهم من ملوكهم وأحسن إليهم، وأطلقهم على أشياء قررهما، ولو لم يكن له إلا هذا لكفي، فأنهم لما ملكوا دمياط أشرف باقي البلاد على الأخذ ولو أخذت مصر لما بقي بالشام معهم ملك لأحد، وكانت وفاته في شعبان بدمشق، وقد جاوز الستين من عمره، وكانت مدة ملكه منذ ملك مصر أربعين سنة، وعهد إلى ولده العادل حمد.

ذكر وصول عساكر المغول نواحي العراق

في صفر، وصلت الأخبار إلى أهل أربل، أن عساكر المغول عادوا إلى قصدهم في جمع كثير، فانتزع من كان بها وبالقلعة أيضاً، فلما رأى زعيمها الأمير شمس الدين باتكين خلوا البلد، أمر بخروج العسكر المقيم هناك إلى ظاهر

البلد ثم الاستعداد للحراسة فعدلوا حينئذ عن أربل فقصدوا دقوق، وانبوا في أعمال بغداد وعاثوا بما أشد العيث، فوصل الخبر إلى بغداد فخرج شرف الدين أقبال الشراي مبرزاً إلى ظاهر البلد، وأمر خطيب جامع القصر أبا طالب بن المهتدي بأن يحرص في خطبته على الجهاد ففعل ذلك، فبكى الناس لما سمعوا كلامه، وأجابوا بالسمع والطاعة، وقدم أهل السواد من دقوق وغيرها إلى بغداد، معتصمين بما وتضاعفت أجره المساكن، وانزعج الناس لذلك، وتتابع خروج الأمراء والعساكر إلى ظاهر البلد، وركب الخليفة المستنصر بالله إلى الكشك، فنزل به وظهر للأمراء، وأمرهم للمشورة، فقال كل واحد ما عنده، وسهل الأمير جمال الدين قشتمر الأمر في لقائهم، وعين الشراي على جماعة من الأمراء لقصدهم، فتوجهوا إلى القليعة ونزلوا بها، فبلغهم أن المغول في جمع كثير وهم بالقرب من الجبل، فساروا نحوهم فلما قاربوهم تعبوا ميمنة وميسرة وقلباً، فلما شاهدت عساكر المغول ذلك ولوا راجعين، فتيبهم جماعة من العسكر فقتلوا منهم جمعاً كثيراً وأسروا منهم جماعة، وغنموا من دوابهم وأثقالهم، وأرسلوا إلى الشراي برؤوس كثيرة، فضربت البشارة عند مخيمه وخلع على الواصلين بالخبر واستأذن الشراي في دخول البلد فأذن له، فدخل في مستهل ربيع الأول، هو والأمير جمال الدين قشتمر والعسكر، وأذن لنور الدين أرسلان شاه بن عماد الدين زنكي صاحب شهر زور في العود إلى بلده، وخلع عليه وعلى أصحابه، وتقدم إلى تاج الدين محمد بن الصلايا العلوي بالتوجه إلى أربل وتجديد سورها وعمارة ما خرب من دورها ونفذ معه كركر الناصري ليكون مستحفظاً بقلعتها، وعين على الأمير ايلمر الأشقر الناصري زعيماً بها وكان زعيمها الأمير شمس الدين باتكين قد فارقها. ثم تقدم، بعمارة سور بغداد وقسم بين أبواب الدولة فسلم إلى نواب ديوان الأبنية منه قطعة مما يلي دار المسناة وقسم العمل بين ثلاثة، وهم فخر الدين المبارك بن المخرمي صاحب الديوان، وابن أبي عيسى صدر المخزن، وتاج الدين علي بن الدوامي حاجب الباب ووقع الحث على ذلك.

ثم وصل الخبر في شهر رجب المبارك أن عساكر المغول قد سارت نحو بغداد، فتقدم إلى الأمراء بالخروج إلى ظاهر البلد فخرج الأمير جمال الدين بكلك الناصري، والأمير جمال الدين قشتمر وغيرهما من الأمراء، وخيموا ظاهر البلد، وكاتب الخليفة ملوك الأطراف يستجدهم ويعرفهم الحال، فوصل في شهر رمضان ولدا الملك الأجد فرخشاه صاحب بعلبك، وهما الملك السعيد شاهنشاه والمظفر عمر ومعهما ألف فارس، فخرج الموكب إلى لقائهما فدخلا وقلبا العتبة فخلع عليهما، وعلى الأمراء الواصلين صحبتهما ثم خرجا وأنزلا في المخيم بظاهر السور.

ثم وصل بعده، الملك المشمر خضر بن صلاح الدين صاحب دمشق ومعهم ستمائة فارس، وتلقي ودخل البلد وخلع عليه وعلى أصحابه وخرج إلى ظاهر السور، وخرج شرف الدين أقبال الشراي أيضاً إلى مخيمه وتكملت العساكر عنده، فأمرهم المسير إلى لقاء المغول فساروا في شوال، وكانت عدتهم سبعة آلاف فارس، فوصلوا قريباً من جبل خانقين، فبلغ جمال الدين بكلك، أن عدة عساكر المغول خمسة آلاف فارس، فسار ليله أجمع ليدركهم نازلين فكبسهم فلما أسفر الصبح، عبر هو والأمراء الذين معه والعسكر قنطرة هناك فلما تكاملوا عبور القنطرة، بان لهم غبار عساكر المغول وهم سائرون نحوهم فواقعوهم على تعب وسهر، واقتتلوا قتالاً شديداً وانكسرت ميمنة المغول وميسرتهم ولم يبق إلا القلب فحينئذ ظهرت كوامن كانت لهم وأحاطوا بعسكر بغداد وكانوا قد لحجوا وراء المنهزمين، فانهزمت حينئذ عساكر بغداد وقتل منهم خلق كثير فالتجأوا إلى دجلة؟ قريبة من موضع الوقعة فهلك معظمهم جوعاً وعطشاً، وعاد من سلم منهم إلى بغداد، وقتل جمال الدين بكلك وطبرس وطغرل الحلبي وقيصر الظاهري وبهاء الدين علي الأربكي وكيكلدي بن قرغوي، وجماعة من كبار الزعماء يطول ذكرهم، وكانت هذه الوقعة يوم الخميس ثالث ذي القعدة، ووصل الخبر على جناح طائر يوم الجمعة رابعه، فانقلب البلد وماج بأهله

ووصل أثر الطائر أهل طري خراسان، والبندنجين، وغيرهم منتزحين عن أوطانهم، وقدم ابن أبي عيسى صدر المخزن ومشرفه والعمال والنواب، وكثر الرهج وضج الناس، فتقدم الخليفة إلى كافة الأمراء بالتبريز وفتحت أبواب السور، فخرجوا في تلك الليلة وخرج الشرايين، وخيموا جميعهم بالقرب من الملكية، وخرج الخليفة لينظر المخيم والعسكر، فبلغ الشرايين ذلك فركب عجلاً للقائه، فظن الناس أن ركب الشرايين لأمر حدث، فركب العسكر منزعين ووصل الخبر إلى عوام البلد وخواصه، فخرج أكثرهم متسلحين، فلما عرفوا حقيقة الحال سكنوا واطمأنوا، أما المغول فإنهم حازوا الغنائم وعادوا راجعين من خانقين وراسلوا الخليفة فوصل رسولهم في ربيع الآخر سنة ست وثلاثين وستمائة، فأنفذ العدل جعفر بن محمد بن عباس البطائحي ناظر التركات، صحبة الرسول الوارد من جرماغون مقدمهم، وكان عوده في سنة سبع وثلاثين. واجتمع به بالقرب من قزوين، وأذن للشرايين والأمراء والعساكر بالدخول إلى البلد، فدخلوا في آخر ربيع الآخر، لم يحج أحل في هذه السنة أيضاً.